

تقديم

تأملات جميلة ومدخل جديد لدراسة القديس الإلهي حيث ربط الأب المؤلف بين التاريخ المقدس في علاقة الله بالإنسان منذ خلق آدم حتى الأبدية مروراً بالسقوط وتدبير الخلاص وتمهيدات الآباء والأنبياء ثم التجسد الإلهي العظيم والكنيسة المسوقة بالروح القدس انتهاءً بالأبدية السعيدة.

كل هذا ربطه بترتيب القديس الإلهي منذ العشية حتى تناول مروراً بالتسبحة وباكر والقديس.

الله قادر أن يبارك هذا المجهود لمجد اسمه القدوس وبنيان الكنيسة وخلاص النفوس ويعوض قدس أبونا زكريا السرياني على هذا الإنتاج الروحي العميق.

ببركة سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله العذراء القديسة مريم وكل صفوف القديسين وبركة صلوات راعينا الحبيب قداسة البابا شنودة الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء مريم (السريان).

وللهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد آمين

الأنبا رافائيل

الأسقف العام

{ ٩ }

دراسة الإلهي

رحلة إلى حذل عشاء عرس الخروف

مراجعة وتقديم

نيافة الأنبا رافائيل

الأسقف العام

إعداد

الراهب القمص

زكريا السرياني

مقدمة

يشرح طقس القداس الإلهي، رحلة الكنيسة عبر تاريخ البشرية المدوّن في الكتاب المقدس، وتضم الرحلة جموع المؤمنين بالمسيح، منذ آدم إلى دهر الدهور.

تتحرك الرحلة بدءاً من طقس تسبحة عشية إلى طقس رفع بخور عشية، ثم تسبحة نصف الليل إلى رفع بخور باكر، ثم مقدمة الحمل إلى أن ينتهي قداس الموعوظين، ثم يبدأ قداس المؤمنين بالأنافورا، حيث يأتي السيد المسيح ويأخذ معه جموع المؤمنين الذين اشتركوا في الرحلة ويدخل بهم إلى السماء، لتصبح عروساً له تتمتع معه وبه، في حفل عشاء عرس الخروف، الذي أعده لها. وعلى المائدة في الحفل، لم يجد العريس أعظم من جسده ودمه، يقدمه لعروسه حتى تتناول منه وتتحد به في رباط زيجي روحي مقدس.

وهذه الرحلة سوف تتكرر كل يوم في كل قداس، إلى وقت مجيء السيد المسيح، حينما يأتي ويأخذ عروسه (الكنيسة) ويدخل بها إلى السماء، لتعيش معه في رباط زيجي لا ينتهي.

وتنقسم الرحلة إلى ثلاث مراحل، تبدأ المرحلة الأولى والتي تُسمّى بمرحلة (الناموس الطبيعي)، من بدء الخليقة حتى ناموس

موسى، وتبدأ المرحلة الثانية وتُسمّى مرحلة (الناموس الموسوي)، من ناموس موسى حتى ميلاد السيد المسيح. والمرحلة الثالثة وتُسمّى (عهد النعمة)، وتبدأ بظهور السيد المسيح وميلاده من العذراء مريم، ثم موته وقيامته، حينئذ يفتح لها السيد المسيح أبواب السماء ويدخلها إليه قائلاً لها " طوبى للمدعوين إلى حفل عشاء عرس الخروف " (رؤ ١٩ : ٩) فتصبح عروساً له، وتتمتع بحبه في رباط زيجي مقدس. ويكتمل فرحها به عند اتحادها معه في نهاية القداس الإلهي، عندما يقدم لها جسده المقدس ودمه الكريم.

أقدم لك قارئ العزيز هذا الكتاب، حتى تشترك معنا في هذه الرحلة المقدسة، ندخل معاً إلى حفل عشاء عرس الخروف. ونتمتع هناك بمائدة العشاء السري، أي بالجسد والدم الأقدسين.

أتركك الآن لكي تبدأ تتحرك مع هذه الرحلة، وعندما تصل وتدخل إلى حفل عشاء عرس الخروف اذكرني دائماً حتى أكون معك.

أتقدم بالشكر الجزيل **لحضرة صاحب النيافة الخبر الجليل الأنبا رافائيل الأسقف العام**، الذي استقطع من وقته الكثير لمراجعة هذا الكتاب رغم مشغوليته الكثيرة، كما أتقدم بالشكر

وتقدّس الإلهي

رحلة إلى حفل عشاء عرس الخروف

(رؤ ١٩ : ٩)

مدخل

الطقس كلمة يونانية مشتقة من (طاكسيس)، وهي تعني في الأصل اليوناني ترتيب أو نظام. وتطلق على مجموع الصلوات والتسابيح التي تتلوها الكنيسة أثناء الخدمات الكنسية العامة، كتتميم الأسرار الإلهية وغيرها من خدمات كنسية أخرى.

ويرجع أصل وضع الطقس في الكنيسة المسيحية، إلى الآباء الرسل أنفسهم ومن خلفهم من الآباء الرسولين والقديسين حتى يومنا هذا.

ووضع آباء الكنيسة الطقس، بإرشاد الروح القدس لمنفعة المؤمنين والمصلين. ولذلك نجد أن كل ترتيب ونظام في الطقس الكنسية، يخفي وراءه معنى روحياً عميقاً، ولهذا فكلما مارست الكنيسة الطقس بفهم وعمق روحي، تكون قد هيأت لأبنائها الجو الروحي المشبع الذي يسمو بهم. وينقلهم ليعيشوا أياماً

{ ١٣ }

للآباء رهبان دير السريان، الذين تعبوا في مراجعة الكتاب لغوياً وكتابته على الكمبيوتر، الرب يعوض الجميع أجراً سمائياً، راجياً من الرب أن يرافق روحه القدوس كلمات هذا الكتاب ليكون نافعا للكثيرين. بشفاعة والدة الإله القديسة الطاهرة مريم والقديس العظيم الأنبا يحنس كما شفيع الدير، وصلوات قداسة البابا المكرم الأنبا شنوده الثالث أطال الله حياته، وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المحبوب الأنبا متاؤس رئيس دير السريان العامر وأبينا الأسقف المكرم الأنبا رافائيل الأسقف العام.

وللهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين.

الراهب القمص

زكريا السرياني

الصوم الكبير ٢٠٠٥ م

{ ١٢ }

وسنياً وقرونًا مضت، بدأت منذ أيام الخليقة وامتدت بهم عبر الزمان، بل وخطت بهم إلى حدود ما فوق الزمان؛ أي إلى الأبدية. وبمعنى أوضح نقول أن كل شخص يمارس الطقس الكنسي بفهمٍ روحي، يعيش الماضي والحاضر والمستقبل، ويصبح شخصاً روحياً، يعيش أيام السماء على الأرض، وهو مازال في الجسد. وحينما يرتفع الشخص إلى هذا المستوى، يكون الغرض من ممارسة الطقس قد حقق الهدف الروحي المنشود.

وخدمة القديس الإلهي (١) أي تقديس سر الإفخارستيا، هي أهم هذه الطقوس في الكنيسة. وهو من أسرار الكنيسة السبعة، وترتيبه يرجع إلى الآباء الرسل أنفسهم، وقد استلموه من الرب نفسه، حينما أسسه يوم خميس العهد، في عليّة صهيون في بيت مار مرقس الرسول.

وقد بشر القديس مار مرقس في الإسكندرية، فأمن أهلها بالسيد المسيح، ونظم الأمور الرعوية فيها، ورسم لها أسقف

(١) يسمى القديس في اللغة القبطية (أنافورا). وأخذها السريان عنا ودعوها (نافورا). ويسمى باليونانية (أفخولوجيون). ويسميه اللاتينيين (ليتورجيا) من (ليتوس) أي عمومي أو جماعي و(أرغون) أي عمل. فتعني بذلك عملاً جماعياً. وكانت تُطلق على أي عمل جماعي ولو كان مدنياً، إلا أنها فيما بعد خُصصت للدلالة على الإفخارستيا أي القديس الإلهي (عن كتاب اللائح النقيسة في شرح طقوس الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ص ٢٣٢).

{ ١٤ }

وكهنة وشمامسة وسلم لهم القديس الإلهي المعروف الآن بالقديس الكيرلسي (١) لكنيسة الإسكندرية، ووضع أيضاً طقس هذا السر. واستمرت كنيستنا القبطية تمارس خدمة القديس الإلهي، بنفس الصلوات وبنفس الطقس الذي وضعه القديس مار مرقس، والذي كانت تمارسه الأجيال الأولى إلى وقتنا هذا.

وقد استمرت صلوات القديس الإلهي، وكذلك طقس الصلوات الخاص به، يُلقن من جيل إلى جيل، حتى زمن رئاسة القديس البابا أثناسيوس الرسولي البطريرك العشرون، الذي سام أول أسقف للأحباش باسم الأنبا فرومنتيوس، وأرسله إليهم حوالي سنة ٣٣٠م لنشر الإيمان هناك، وسلمه أيضاً القديس الإلهي مكتوباً، ولهذا اعتبر البابا أثناسيوس أول من دوّن القديس الإلهي مكتوباً. (عن كتاب اللائح النقيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ص ٢٣٥)

(١) واضع هذا القديس مار مرقس مؤسس كنيسة الإسكندرية، إنما نُسب بعد ذلك إلى القديس كيرلس الأول عمود الدين، البطريرك الرابع والعشرين، نظراً لأنه هو الذي اهتم بجمع أقواله، كما زاد عليها بعض الترتيبات كما هو الآن.

{ ١٥ }

وتستخدم كنيسةنا القبطية ثلاثة قداسات هي: (١)

(١) القراس الباسيلي

يُطلق عليه هذا الاسم، نسبةً للقديس باسيليوس الكبير، أسقف قيصرية الكبادوك، الذي وضعه في القرن الرابع الميلادي. وفيه يُخاطب الله الآب، الذي أحبنا وصالحنا بانه يسوع المسيح ربنا الذي أرسله لفدائنا (يو ٣: ١٦)، (غل ٤: ٤).

(٢) القراس الغريغوري

ويُنسب هذا القداست إلى القديس غريغوريوس الثيولوجوس (الناطق بالإلهيات) أسقف القسطنطينية في سنة ٣٧٩م، والذي اهتم بوضعه. وفيه يخاطب ابن الله يسوع المسيح، الذي تجسد لأجل خلاصنا، وبذل ذاته على عود الصليب فداءً عنا وكفارة لخطايانا. (عن كتاب اللائح النقيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ص ٢٣٥)

(١) عن كتاب اللائح النقيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة الجزء الأول للقمص يوحنا سلامة ص ٢٣٥.

{١٦}

(٢) القراس الكيرلسي

ويُنسب هذا القداست إلى القديس كيرلس عمود الدين، البابا الرابع والعشرين من عداد البطارقة. على الرغم من اتفاق الجميع على أن واضعه هو القديس مرقس الرسول، كاروز الديار المصرية ومؤسس كنيسة الإسكندرية. ولكنه نُسب إلى القديس كيرلس، نظراً لما قام به من جمع أقواله، وإضافة بعض الصلوات والطلبات وترتيبها كما هو عليه الآن.

لغة القراس

نظراً لأن اللغة اليونانية كانت هي اللغة الرسمية في مصر، كما أنها كانت لغة العلم والثقافة في ذلك الوقت، لذلك وُضعت القداسات باللغة اليونانية، ثم تُرجمت إلى اللغة القبطية باللهجة البحرية، مع الاحتفاظ ببعض الجمل اليونانية. وبعد دخول العرب مصر عام ٦٤١م، وخاصة أيام الحاكم بأمر الله، الذي شدد أوامره بعدم استخدام اللغة القبطية في الدواوين، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد. بل ازداد في تعسفه مع الأقباط، فمنعهم من التخاطب باللغة القبطية نهائياً حتى في بيوتهم. ولهذا السبب ضعفت اللغة القبطية، وقَلَّ التخاطب بها بين الناس، إلى أن أصبح استخدامها قاصراً على صلوات الكنيسة، وعلى قلة قليلة جداً من الأسر القبطية، التي استمرت

{١٧}

محافظةً على لغة آبائهم. ونظراً لتزايد التكلم باللغة العربية، وعدم فهم اللغة القبطية بين العامة، تُرجمت صلوات القديس إلى اللغة العربية لفائدة الشعب، ولكن الكنيسة ما زالت تصلي بالقبطية إلى جوار العربية حتى لا يضيع التراث الآبائي الأصيل.

فاعلية طقس القراس وألحانه على المؤمنين

مما لا شك فيه أن طقس القديس الإلهي، عندما يُمارس بدقة مع فهم وروحانية، يسمو بالمؤمنين من مجد إلى مجد، إلى أن يرفعهم إلى الاتحاد بالمسيح والثبات فيه؛ بالتناول من جسده المقدس ودمه الكريم.

فكما سنرى في هذا الكتاب، كيف بدأ طقس تسبحة عشية مرتبطاً مع بدء الخليقة كلها يوماً فيوماً، إلى خلق الإنسان الأول، أبينا آدم ثم أمنا حواء، ووجودهما في جنة عدن يسبحان ويباركان الله. يعقبها مرحلة السقوط والطرود من الجنة، مع الوعد بالخلاص. وهكذا يتدرج طقس رفع بخور عشية، يليها تسبحة نصف الليل، ثم رفع بخور باكر، من أحداث تشمل تاريخ البشرية كلها عبر الكتاب المقدس، يتخللها نبوات الأنبياء عن الخلاص المنتظر، الذي بدأ بتجسد ابن الله الكلمة. ومع تزايد النبوات عن مجيء المخلص، واقتراب موعد ظهوره، يشرق علينا شمس البر بنوره، متجسداً من العذراء مريم، ونرى مجده مثل مجد

{ ١٨ }

ابن وحيد لأبيه مملوءاً نعمة وحقاً (يو ١: ١٤)، ثم يتسلسل معنا الطقس، إلى ظهوره في نهر الأردن، ليعتمد من يوحنا المعمدان، ثم ينقلنا إلى الجلجثة، حيث يسوع المصلوب، فالدفن، فالقيامة. وهنا يكون الخلاص قد تم. عند هذا ينقلنا للتمتع بهذا الخلاص، بالاتحاد والثبات في السيد المسيح، بالتناول من جسده المقدس ودمه الكريم.

وما يُضفي البهاء على الطقوس الكنسية، ويزيدها جمالاً وكمالاً، وخاصة طقس القديس الإلهي، هو ما رتبته الكنيسة بالروح القدس، فقد صبغت الكنيسة الطقس بألحانها العذبة الجميلة، والتي يتناسب فيها كل لحن يُقال مع الفكر الذي يتفق مع المناسبة وأيضاً يتفق مع الطقس، وقت أداء اللحن. بل أننا نجد دائماً أن اللحن يُظهر الطقس، ويزيده وضوحاً وفهماً.

وبهذه الديناميكية المتناسقة والمتوافقة، يتهيأ للمصلي أن يشارك بجميع حواسه في الصلاة والعبادة. فالعين ترى السر الكنسي غير المنظور، في صورة منظورة. ففي سر الإفخارستيا ترى العين مادة الخبز والخمر، وأيضاً الحركات الطقسية التي يمارسها الكاهن أثناء إتمام السر. والأذن تسمع ألحاناً ذات نعمات معزية، متناسبة مع المناسبة الكنسية التي يُقال فيها اللحن. والأنف تستنشق رائحة البخور العطرة، المتصاعدة من احتراق

{ ١٩ }

حبات البخور في الجحمة. أما حاسة التذوق فتعمل وقت تناول من الجسد والدم، يعقبها مباشرة ما هو أعمق وأسمى من حاسة اللمس وهو الثبات في الرب، كما قال بضمه القُدوس " من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه " (يو ٦ : ٥٦).

مظهر يزير من فاعلية الطقس

يلاحظ في رفع بخور عشية وباكراً، أن الكاهن يصلى رفع البخور خارج الهيكل، وما أن ينتهي من رفع بخور باكراً حتى يدخل الهيكل ويرتدي ملابس الخدمة البيضاء. ولا ريب في أن هذا المظهر، له مدلوله الروحي العميق. فرفع بخور عشية وباكراً، يشير إلى الناموس والأنبياء، وهي الفترة المظلمة التي عاشتها البشرية في مرارة البُعد عن الله، نتيجة للخطية التي سقط فيها آدم وحواء، وطُردا خارج جنة عدن إلى أرض الشقاء، يطلبان إلى الله ويستمطران مراحمه حتى يُسرع بالخلاص.

وما أن انتهت هذه الفترة المظلمة بتجسد ابن الله الكلمة وميلاده في مذود، كحمل الله الذي يحمل خطية العالم كله (يو ١ : ٢٩)، حتى نجد الكاهن يرتدي ملابسه الكهنوتية البيضاء، ويدخل بها إلى الهيكل كإشارة لبر المسيح، الذي به نستطيع أن ندخل قدس الأقداس، ونتمتع بدالة به أمام الله.

{ ٢٠ }

ومن ناحية أخرى يمكن أن نقول، أن رفع بخور عشية وباكراً يشير إلى شهرى طوبه وأمشير، اللذين سبقا حلول ابن الله الكلمة في بطن العذراء مريم، في ٢٩ برمهاة، وهو عيد البشارة بميلاد المخلص.

وزيادة في الإيضاح نورد ما كتبه المتنيح القمص يوحنا سلامة في كتابه اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة الجزء الأول الفصل الثاني ص ٢٩، ٣٠، ٣١ ما يلي:

{ مر بك أن الكنيسة، هي جماعة المؤمنين في كل أقطار الأرض، ولا يجب أن يُفهم من هذا أن المراد بالمؤمنين، هم الذين تبعوا المسيح ورسله وخلفاءهم فقط، بل هم أيضاً أولئك الذين آمنوا بالله، من الآباء الأَطهار قبل زمن موسى، والذين أتبعوا شريعة الله المدوَّنة في كتابه، من بعد هذا النبي العظيم إلى ظهور السيد المسيح، وإلى نهاية العالم. فالكنيسة إذن هي جمهور المؤمنين بالله في كل زمان، منذ بدء الخليقة إلى الآن وإلى آخر الأزمان، ولذا استعملت لفظة " كنيسة "، إشارة إلى جماعة الإسرائيليين، كما في (أ ع ٧ : ٣٨، عب ٢ : ١٢).

فالكنيسة بهذا الاعتبار قديمة العهد جداً، ويمكن القول أنها قد تأسست منذ تأسيس العالم، كما أن الإيمان بالمسيح ابتداءً منذ خلق العالم نفسه، وأول إشارة إلى ذلك نراها في (تك ٣ : ١٥،

{ ٢١ }

تك ٤٩ : ١) راجع أيضاً (عب ١١ : ٢ - الخ)، (١ بط ١ : ٥ - ١٣)، (رؤ ١٣ : ٥) .

وقد تعاقبت على الكنيسة ثلاثة أدوار مختلفة في أحوالها الخارجية، يتتبع الدور الأول من آدم إلى موسى، والثاني من موسى إلى ظهور المسيح، والثالث من المسيح إلى نهاية العالم.

أما في الدور الأول فكانت تُساس بالناموس الطبيعي، " الضمير " والتقليدات الشفوية الصادرة عن الإعلانات الإلهية إلى الآباء الأبطال، وتُنقلت هذه كلها خلفاً عن سلف، بين كل واحد والآخر من الآباء، إلى زمن موسى. فموجب هذه التقاليد قدم آدم وأبناؤه تقدمات للرب (تك ٤ : ٣)، (عب ١١ : ٤) .

وبحسب هذه الإعلانات الشفوية أيضاً، بنوا المذبح وقدموا الذبائح عليها. فبنى نوح مذبحاً للرب وقدم عليه مقدمة (تك ٨ : ٢٠) وكذلك إبراهيم (تك ١٢ : ٧ ، ٩)، وإسحق (تك ٢٦ : ٢٥)، ويعقوب (تك ٣٣ : ٢٠) . وبموجبها أيضاً قُدِّمت العشور (تك ١٤ : ٢٠)، ونُذرت النذور (تك ٢٨ : ٢٢)، وحُفِظَ السبت (خر ١٦ : ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠) .

وكانت هذه التقديمات تدل على إيمان مقدميها بالمسيح المنتظر كما كانت رمزاً إلى يسوع، الذي كان المؤمنون القدماء

ينظرون إليه كموضوع رجائهم وهدف أنظارهم (لو ١٠ : ٢٤)، (يو ٨ : ٥٦) .

أما في الدور الثاني، تدبرت الكنيسة بالناموس المكتوب، المُعطى من الله لشعبه على يد موسى، الذي يضم إليه كل الشرائع الأدبية والمدنية والطقسية. وقد أمرهم الله بحفظه والسير بموجبه، في كل أمور عبادتهم ومعاملتهم وسلوكهم. وقد كان هذا الناموس صورة بارزة للناموس الطبيعي " الضمير " أو التقليدي، الذي فسد بفساد الإنسان. وقد وُضع لفائدة البشر بوجه عام ولليهود بنوع خاص، غير أنه كان عاجزاً عن تقويم الإنسان (رو ٨ : ٣)، (غل ٢ : ٢٢)، لأن غايته لم تكن إصلاح النفوس، إنما كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان (غل ٣ : ٢٤) . فالحجر الأساسي للناموس، ولجميع الذين عاشوا تحت الناموس، كان هو يسوع المسيح رجاء العالم ومُشْتَهَى كل الأمم (حج ٢ : ٧)، (ملا ٣ : ١) .

أما الدور الثالث وسُمِّي عهد النعمة (لو ١ : ١٧)، عهد الرحمة والكمال (عب ٧ : ١١) . فبدوّه ظهور المسيح بالجسد.

في هذا الدور تأسست الكنيسة المسيحية يوم الخمسين، بعد قيامة المخلص، إذ حل الروح القدس على التلاميذ، الذين اختارهم الرب لنشر بشرى الخلاص، لجميع الناس في العالم أجمع

الباب الأول

تسبحة عشية ورفع بخور عشية

أولاً: تسبحة عشية

(١) أيام الخليقة وحياة التسبيح.

(٢) السقوط والوعر بالخلاص

(٣) الغروب عن شمس البر

ثانياً: رفع بخور عشية

(١) خارج الفروس

(٢) صلاة الشكر

(٣) صلاة عن الراقين

(٤) إندوتي ناي نان (اللهم ارحمنا)

(٥) أوشية الإنجيل

(٦) الأواشي الخمس الصغار

(٧) البركة

(مز ١٦: ١٥). وامتدت تدريجياً إلى أقاصي الأرض، وتسير على عبادتها وحياتها، بموجب شريعة الإنجيل الفضلى. وهي ليست الآن تحت الناموس بل تحت النعمة (رو ٦: ١٤)، جاء الكامل (١ كو ١٣: ١٠) ورفع البرقع، ونحن جميعاً ننظر إلى مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة (٢ كو ٣: ١٤، ١٨) وسيبقى هذا الدور إلى نهاية العالم، حتى يُسلم المسيح الملك لله الآب متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة { ١ كو ١٥: ٢٤ }^(١)

(١) عن كتاب اللائح النقيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة الجزء الأول للقمص يوحنا سلامة ص ٢٨، ٢٩، ٣٠.

الباب الأول

تسبحة عشية ورفع بخور عشية

تسبحة عشية، ورفع بخور عشية، هي المرحلة الأولى في كنيسة المسيح. فكما ذكرنا سابقاً أنها بدأت منذ خلق العالم نفسه، إلى قبل كتابة الناموس الموسوى. وكانت تُساس الكنيسة في هذه الفترة بالناموس الطبيعي "الضمير" والتقليدات الشفوية الصادرة عن الإعلانات الإلهية إلى الآباء الأطهار، وتُنقلت هذه كلها بين واحد والآخر من الآباء إلى زمن موسى.

وفي هذه المرحلة، سوف يجذب انتباهنا، الترابط والتوافق بين طقس تسبحة عشية ورفع بخور عشية، وبين أحداث وتاريخ هذه المرحلة في الكتاب المقدس.

أولاً: تسبحة عشية

(١) أيام الخليقة، وحياة التسيب

يبدأ الكاهن عند رفع بخور عشية بصلاة المزامير، وعند الانتهاء منها، يبدأ الشماسة والشعب في لحن (ني إثنوس تيرو...) (المجد لإلهنا سبحوا الرب يا كل الأمم، ولتباركه كل

الشعوب، لأن رحمته قد قويت علينا، وحق الرب يدوم إلى الأبد هملويا) مز ١١٦.

وفي هذا المزمور الذي يقال بلحن عذب جميل، نجد فيه أن الخليقة كلها بما فيها الإنسان، تُسبح وتمجد الله. وهذا يشير إلى حالة التسيب والتمجيد والفرح، التي عاشتها الخليقة قبل السقوط.

بعد الانتهاء من اللحن، يقال الهوس الرابع، وهو عبارة عن الثلاثة مزامير الأخيرة في سفر المزامير، وهي ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.

والهوس الرابع في التسبحة "يمثل الراحة" (١)، أي حياة التسيب المستمر، والوقوف الدائم أمام الحضرة الإلهية. وهو ما كانت عليه الخليقة كلها، والإنسان خاصة وهو في جنة عدن، عند بداية الخليقة وقبل السقوط.

وما يؤيد هذا المعنى، التطابق الواضح بين المزمور ١٤٨، وأيام الخليقة المدونة في الإصحاح الأول من سفر التكوين، وهو ما سوف نعرضه الآن.

(١) كتاب خواطر روحية في التسبحة اليومية، لنيافة الأنبا متاؤس أسقف دير السريان العامر.

اليوم الأول :

يذكر سفر التكوين ما حدث في اليوم الأول فيقول " في البدء خلق الله السموات والأرض.... وقال الله: "ليكن نور" فكان نور" (تك ١ : ١ - ٥) ويشرح هذه الآية الأولى في الإصحاح الثاني، فيقول " فأكملت السموات والأرض وكل جندها " (تك ٢ : ١). فعلى الرغم من أن الكتاب المقدس لم يذكر أي تفاصيل عن خلقة السماء وجنودها، كما ذكر بالتفصيل عن خلقة الأرض وما عليها ولكنه أجملها في عبارة شاملة وهي " السموات وكل جندها " ويصف المزمور ١٤٨ في الهوس الرابع، تسبيح الطغمت السماوية فيقول " سبّحوا الرب من السموات. الليلويا سبّحوه في الأعالي "، " سبّحوه يا جميع ملائكته. الليلويا سبّحوه يا كل جنوده ".

اليوم الثاني :

أما ما حدث في اليوم الثاني، فيقول سفر التكوين " وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه... وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماء... " (تك ١ : ٦ - ٨)، ويذكر المزمور ١٤٨ في الهوس الرابع ذلك بدقة، فيقول " سبّحيه يا سماء السموات الليلويا، ويا أيّتها المياه التي فوق

السموات "، " لتسبح جميعها لاسم الرب الليلويا، لأنه قال فكانت "، " وأمر فخلقت الليلويا أقامها إلى الأبد وأبد الأبد ".

اليوم الثالث :

ويخبر سفر التكوين أيضاً عما حدث في اليوم الثالث، فيقول " وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، وتظهر اليابسة. وكان كذلك... ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجمع المياه دعاها بحاراً... " (تك ١ : ٩ - ١٣).

فيتفق هذا مع ما جاء في المزمور ١٤٨ في الهوس الرابع، فيقول " وضع لها أمراً فلن تتجاوزه الليلويا سبّح الرب من الأرض "، ويقصد المزمور هنا أن المياه التي تحت الأرض وضع الله لها أمراً حتى لا تتجاوزه لتتكون البحار والمحيطات.

اليوم الرابع :

أما ما حدث في اليوم الرابع، فيقول عنه الكتاب " وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل... فعمل الله الثورين العظيمين: الثور الأكبر لحكم النهار، والثور الأصغر لحكم الليل والنجوم... " (تك ١ : ١٤ - ١٩). ويعطى المزمور ١٤٨ في الهوس الرابع نفس المعنى، فيقول (سبّحيه أيتها الشمس والقمر الليلويا، سبّحيه يا جميع كواكب

النور)، وما يقصده سفر التكوين بالنورين العظيمين هما الشمس والقمر، أما ما يقصده المزمور بكواكب النور هي النجوم.

اليوم الخامس :

أما حلقة الله في اليوم الخامس، قال عنه سفر التكوين " وَقَالَ اللَّهُ: لَتَفْضِ الْمِيَاهُ زَحَافَاتٍ وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جِلْدِ السَّمَاءِ. فَخَلَقَ اللَّهُ التَّنَائِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدْبُ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجَنَسِهِ ... " (تَك ١: ٢٠ - ٢٣).

ويتحدث المزمور ١٤٨ عن ذلك، فيقول (أيتها التنانين وجميع الأعماق الليلويا، النار والبرد والثلج والجليد والريح العاصفة الصانعة كلمته)، (.... الليلويا وكل الطيور ذات الأجنحة) وما يقصده المزمور بعبارته " وجميع الأعماق " أي كل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت من أعماق المياه كأجناسها.

اليوم السادس :

أما اليوم السادس والأخير من الحلقة فقد ذكر سفر التكوين ما خلق قائلاً " وَقَالَ اللَّهُ: لِيُخْرِجِ الْأَرْضُ ... بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ

وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ... ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ، وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَنْثَرُوا وَأَكْثَرُوا وَأَمَلُّوا الْأَرْضَ ... كُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرٌ، شَجَرٍ يُنْزِرُ بَزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا ... " (تَك ١: ٢٤ - ٣١).

وما حدث في اليوم السادس يتفق مع ما جاء بالمزمور ١٤٨ حتى نهايته فيقول (الجبال العالية وجميع الآكام الليلويا، الأشجار المثمرة وكل الأرز). (الوحوش وكل البهائم الليلويا، الهوام وكل الطيور ذات الأجنحة). (ملوك الأرض وكل الشعوب الليلويا، الرؤساء وكل حكام الأرض). (الشبان والعذارى الليلويا، الشيوخ والصبيان).

وما يقصده المزمور بعبارته " ملوك الأرض والرؤساء وكل حكام الأرض " إنما يقصد الإنسان الأول، الذي خلقه الله وباركه وقال له: " أَنْثَرُوا وَأَكْثَرُوا وَأَمَلُّوا الْأَرْضَ وَأَخْضَعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيْوَانٍ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ. " وهنا أعطى الله الإنسان أن يكون ملكاً ورئيساً وحاكماً، على كل سمك البحر وطيير السماء وكل حيوان يدب على الأرض.

أما المزموران ١٤٩، ١٥٠ من الهوس الرابع ففيهما يبحث الجنس البشري على تسبيح الله وتمجيده، وهما بذلك يوضحان

الوضع الذي كان فيه آدم وحواء، وهما في الجنة يسبحان الله ويقدمان له المجد والإكرام كل حين، في فرح بالوجود في الحضرة الإلهية (فليفرح إسرائيل بحالقه)، وفي تهليل بملكه عليهم (وبنو صهيون فليتهللوا بملكهم).

بعد الانتهاء من الهوس الرابع تقال الإبصالية (١) الخاصة باليوم وهي تقدّم تمجيداً لاسم الخلاص. وهي بذلك تعكس حالة التمتع التي عاشها الإنسان، بتمجيد وتسييح اسم الله كما أهما تعطى امتداداً واستمراراً لهذا التمجيد والتسييح في السماء.

(٢) (السقوط والوعر بالخلاص)

بعد الإبصالية تُقال الثيوطوكية الخاصة باليوم، و ثيوطوكية كلمة يونانية معناها "لوالدة الإله"، وقد وضعتها الكنيسة بعد مجمع أفسس سنة ٤٣١م، لتمجيد العذراء مريم التي حملت وولدت ابن الله الكلمة، ولتثبيت عقيدة الثيوطوكس (والدة الإله)، التي دافع عنها البابا كيرلس الأول بشدة في مجمع

(١) إبصالية لفظة قبطية معناها تسييح أو ترنيم، وهي مشتقة من إبصليتيس أي مزموور. والإبصالية قطعة موزونة كالأشعار، ومقفأة أيضاً، وغالباً ما تكون أوائل أرباعها مرتبة على الحروف الهجائية القبطية. (من كتاب اللاكئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة حاشية ص ١٩٦)

{ ٣٢ }

أفسس، ضد نسطور المبتدع الذي رفض هذه التسمية فحرمته الكنيسة ونفته (١).

فبعد أن خالف آدم وحواء وصية الله وأكلا من الشجرة، طردهما الله من الفردوس بعد أن سقطا (تك ٣: ١ - ٧)، " قَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: لِأَنَّكَ فَعَلْتِ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ ... عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقْبَهُ " (تك ٩: ٨ - ١٩). فالمرأة هي العذراء مريم، التي من نسلها يأتي المسيح ويسحق رأس الحياة.

والثيوطوكيات بما تحويه من معاني، تظهر من خلاله الميلاد العجيب من العذراء مريم، وسر الفداء العظيم، الذي عن طريقه استطاع السيد المسيح أن يسحق الحياة أي إبليس. لذا فهي تشير إلى الوعد، الذي أعلنه الله لآدم وحواء، بخلاص الجنس البشري.

ولأن الثيوطوكية تمجيد للسيدة العذراء مريم والدة الإله، فكأن الجنس البشري الممثل في آدم وحواء، يتقدم بالشكر والتمجيد للعذراء، التي من نسلها ولد السيد المسيح، الذي يسحق رأس الحياة.

(١) خواطر روحية في التسبحة اليومية، لنيافة الأنبا متاؤس، أسقف دير السريان العامر.

{ ٣٣ }

بعد الثيوتوكية تُقال الشيرات (١) الأولى والثانية يوم السبت، أو لبش (٢) اليوم في باقي أيام الأسبوع. والشيرات هي امتداد السلام لوالدة الإله، والشكر والتمجيد لها. أما اللبش فهو تفسير للثيوتوكية، أي تكرر وتأكيد التمجيد للسيدة العذراء والدة الإله.

بعد ذلك يُقال ختام الثيوتوكيات الواطس (٣) أو الآدام (٤) حسب اليوم، وتحوى تسبحة ختام الثيوتوكيات طلبات مراحم الرب الكثيرة.

(١) شيرات جمع شيريه وهي كلمة يونانية معناها السلام، أي السلام لوالدة الإله القديسة مريم.

(٢) لبش كلمة قبطية معناها شرح أو تفسير.

(٣) واطس كلمة يونانية صحتها فاطوس ومعناها عليقة، وهي بداية ثيوتوكية يوم الخميس، ولها نغم خاص يُستعمل دائماً في أيام الأربعاء والخميس والجمعة والسبت. (من كتاب اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة للقمص يوحنا سلامة ص ١٩٧)

(٤) آدام هي كلمة عبرانية معناها "الإنسان" آدم، ولها نغم خاص يُقال دائماً في أيام الأحد والاثنين والثلاثاء، ويُلاحظ أن لكل من الواطس والآدام نغم فرائحي وسنوي وكيهكي.

{ ٣٤ }

وهي هنا تشير إلى طلبات آدم وحواء لمراحم الله، بعد سقوطهما وطردهما من الجنة، لكي ما ينظر الرب إليهما وإلى نسلهما، ويتحنن عليهم ويردهم مرة أخرى إلى الفردوس.

(٢) (الغروب عن شمس البر)

بعد أن أخطأ آدم وحواء، أخرجهما الله من الجنة " لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكُرُوبِيمِ وَلَهَيْبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ " (تك ٣: ٢٣، ٢٤). وابتعد الإنسان عن النور الإلهي، والتمتع بالوجود الدائم مع الله. وكانت النتيجة لذلك ازدياد عمل الشر والخطية بين البشر، وبالتالي زادت الفجوة والبعد بين الإنسان والله، وطالت أيضاً حالة الظلمة التي يعيش فيها الإنسان مع زيادة بعده عن الله.

فهذا الوصف وهذه الحالة التي عاشتها البشرية بعد السقوط، تماثل تماماً الوقت الذي تقام فيه صلاة رفع بخور عشية. فنلاحظ أنه مع بداية صلاة تسبحة عشية، كانت الشمس ما تزال مشرقة، ومع قرب انتهائها يسدل الليل بستره، ومع استكمال باقي رفع بخور عشية، يكون الظلام قد امتد وعم كل شيء.

ومن الملاحظ أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، ومع دورانها تبعد عن نورها، فيتسع البعد بينهما وتزداد الظلمة. وهذا ما يحدث مع الإنسان. فالله ثابت لا يتغير، ويشرق بنوره

{ ٣٥ }

ثانياً: رفع بخور عشية

(١) خارج الفردوس

يصلى الكاهن رفع بخور عشية وياكر، وهو واقف خارج باب الهيكل يستمطر مراحم الله، وهو بذلك متمثل بآدم الذي طُردَ خارج الفردوس. وهذا ينطبق مع قول الكتاب "... فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنِ، لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا، فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكَرُوبِيمَ وَلَهَيْبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تك ٣: ٢٣، ٢٤).

(٢) صلاة الشكر

يفتح الكاهن ستر الهيكل، ويبدأ رفع بخور عشية بصلاة الشكر قائلاً " فلنشكر صانع الخيرات... أيها السيد الرب الإله ضابط الكل.... لأنك سترتنا وأعتتنا وحفظتنا وقلبتنا إليك وأشفقت علينا وعضدتنا... ".

ولعل الكاهن هنا يمثل آدم ككاهن للخليقة، كلها. يعترف أن الله هو ضابط الكل نظراً لما أحس به من نظام وإبداع خلقه الله وأوجده في الكون. كما أنه يقدم الشكر لله، نيابة عن البشرية كلها، لأن الله سترهما، إذ عمل لهما أقمصة من جلد

وطهارته دائماً. ولكن الإنسان هو الذي يتعد عن الله، وبالتالي يعيش في ظلمة الخطية، وكلما اتسعت الفجوة بينه وبين الله نتيجة لفعل الخطية، ازدادت حالة الظلمة التي يعيش فيها الإنسان.

ولكن مهما اتسعت الفجوة بين الإنسان والله، ومهما ازدادت الخطية والظلمة التي يعيشها، فحتماً سوف يأتي الوقت الذي يمر فيه الإنسان أمام النور الإلهي، فيتطهر من خطاياها وآثامه، ويستنير مرة أخرى. مثلما يحدث للأرض التي تدور مبتعدة عن الشمس، ولكنها حتماً في دوراتها ستمر أمام الشمس وتستنير بنورها مرة أخرى.



وَأَلْبَسَهُمَا (تِك ٣ : ٢١). وَأَعَانَهُمَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكْهُمَا يَهْلِكَانِ بَلْ
اعْتَنَى بِخَلَاصِهِمَا وَحَفَظَهُمَا وَقَبْلَهُمَا مَرَّةً أُخْرَى، رَغْمَ سَقُوطِهِمَا
وَمُخَالَفَتِهِمَا وَصَايَاهُ. وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمَا وَعَضَّدَهُمَا، بِذَبَائِحِ دِمُويَةٍ إِلَى
أَنْ يَأْتِيَ نَسْلُ الْمَرْأَةِ وَيَسْفِكُ دَمَهُ عَلَى عَوْدِ الصَّلِيبِ وَيَسْحَقُ رَأْسَ
الْحَيَّةِ.

ويكمل الكاهن صلاة الشكر، قائلاً " كل حسد وكل تجربة
وكل فعل الشيطان.. انزعها عنا... " وكأن آدم يطلب من
الرب، أن يبعد عنه كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان،
حتى لا يتكرر سقوطه مرة أخرى.

وكما خاطب آدم الله " كصانع الخيرات الرحوم "، يستمر
أيضاً في تذكير الله بمحبته للبشر، فيقول " نسأل ونطلب من
صلاحك يا محب البشر... ".

كما أنه يتذكر عطية الله له ولكل نسله، طالباً ألا يرفعها
عنهم، فيقول " لأنك أنت الذي أعطيتنا السلطان أن ندوس
الحيات والعقارب وكل قوات العدو... " وذلك حينما باركهم
الله وقال لهم: " أَنْثُرُوا وَأَكْثُرُوا وَأَمَلُّوا الْأَرْضَ وَأَخْضَعُوهَا،
وَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ سَمَكَ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَّوَانٍ
يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ " (تِك ١ : ٢٨).

(٢) صلاة عن الراقدين

بعد صلاة الشكر، يصلى الكاهن أوشية الراقدين، بصفة
دائمة في رفع بخور عشية، وترتبط أوشية الراقدين بحكم الموت
الذي وقع على الجنس البشري كله، " موتاً تموت " (تِك ٢ :
١٧). وبتساع دائرة الشر في العالم ازداد الموت، فقابين قتل
أخاه هايبيل (تِك ٤ : ١ - ١٦)، وابتدأ الناس يكثرون على
الأرض، فرأى أبناء الله أن بنات الناس حسنات، فاتخذوا
لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. ورأى الله أن شر الإنسان قد
كثر في الأرض (تِك ٦)، وفسدت الأرض أمام الله، وامتألت
الأرض ظلماً.... (تِك ٦ : ١١، ١٢). وكانت النتيجة أن الله
أهلك العالم بالطوفان (تِك ٧).

والكاهن كشفيع يمثل نوح، كشفيع عن العالم الذي مات
بالخطية، وهلك بالطوفان. فبعد أن خرج نوح من الفلك، قدم
لله ذبيحة فاشتمها رائحة رضا (تِك ٨ : ٢٠، ٢١)، وسمع نوح
الله يقول " لَأَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ أَيْضاً " (تِك ٨ : ٢١).

فالموت جسر ذهبي لا بد أن يجتازه الإنسان، لكي يصل إلى
الأبدية السعيدة، ونوح كممثل البشرية كلها عبر بأسرته هذا
الجسر بالفلك إلى الحياة الجديدة، وذلك كما يصلى الكاهن في
أوشية الراقدين (أقم أجسادهم في اليوم الذي رسمته، كمواعيدك

الحقيقية غير الكاذبة، هب لهم خيرات مواعيدك... ما أعددتها يا الله لحبي اسمك القدوس، لأنه ليس يكون موت لعبيدك بل هو انتقال ..).

لقد تجددت الخليقة بمياه الطوفان، كمثال للحياة الجديدة التي ينالها المعمد في مياه المعمودية (رو ٦: ٣ - ٦)، (كو ٢: ١٢ - ١٥) ففي المعمودية يخلع المعمد الإنسان العتيق بموته مع المسيح، ويلبس الجديد على صورة خالقه بقيامته معه. ويكمل الكاهن أوشية الراقدين، فيقول (فأنت كصالح ومحب للبشر اللهم تفضل عبيدك... فإنه ليس أحد طاهراً من دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض). ويتفق هذا مع قول الكتاب، بعد أن أصعد نوح محرقات على المذبح، "فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لَا أَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ شَرِيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلَا أَعُودُ أَيْضاً أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ" (تك ٨: ٢١).

(٤) (إفنتوتي ناي نان) (اللهم ارحمنا)

بعد الانتهاء من أوشية الراقدين، يمسك الكاهن الصليب وعليه ثلاث شمعات مضيئة وهو باسطاً يديه طالباً بلجاجة قائلاً (اللهم ارحمنا، قرر لنا رحمة، تراءف علينا، واسمعنا، باركنا

واحفظنا وأعنا، وارفع غضبك عنا، تعهدنا بخلصك، واغفر لنا خطايانا).

والكاهن هنا يشير إلى أبينا نوح بعدما خرج من الفلك وأصعد ذبيحة، ووقف يطلب بلجاجة ويستمطر مراحم الله، مثل ما يقوله الكاهن في إفنتوتي ناي نان وكان رد الرب عليه كما يلي:

(أ) قال الكاهن مشيراً إلى نوح ككاهن للخليقة (اللهم ارحمنا، قرر لنا رحمة، تراءف علينا) فاستجاب الرب قائلاً " قَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لَا أَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ... وَلَا أَعُودُ أَيْضاً أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ" (تك ٨: ٢١).

(ب) ثم أكمل الصلاة قائلاً (واسمعنا، باركنا واحفظنا وأعنا) فاستجاب الرب له قائلاً " وَبَارَكَ اللَّهُ نُوحاً وَبَنِيهِ (باركنا) وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَآكثِرُوا وَاْمَلَأُوا الْأَرْضَ وَلِتَكُنْ خَشْيَتِكُمْ وَرَهْبَتِكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ (احفظنا وأعنا) فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ... " (تك ٩: ١ - ٧).

(ج) واستمر في الطلبة قائلاً (وارفع غضبك عنا، تعهدنا بخلصك، واغفر لنا خطايانا) فاستجاب الرب وقال له

" وَقَالَ اللَّهُ لَنُوحٍ وَبَنِيهِ: وَهَذَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَكُمْ
نَسَلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ... أَقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلَا يَنْقَرِضُ كُلُّ
ذِي جَسَدٍ أَيْضاً بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ... " (تك ٩: ٨ - ١٧).

(٥) أوشية للإنجيل

يقف الكاهن أمام باب الهيكل ويده المجرمة ويُصلي أوشية
الإنجيل، وكلمة " إنجيل " تعني البشارة المفرحة، أي بشارة
الخلاص المفرحة، كما بشر الملاك الرعاة قائلاً لهم: " لَا تَخَافُوا.
فَهَذَا أَنَا أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، أَنَّهُ وُلِدَ
لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ " (لو ٢:
١٠، ١١).

وكانت بشارة الرب المفرحة لإبراهيم، هي " سَارَةُ امْرَأَتُكَ
تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا
لِنَسَلِهِ مِنْ بَعْدِهِ " (تك ١٧: ١٩).

يصلى الكاهن (أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تُبصر،
ولآذانكم لأنها تسمع، فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك
المقدسة، بطلبات قديسيك).

وعندما قال السيد المسيح لليهود " أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنَّ
يَرَى يَوْمِي، فَرَأَى وَفَرِحَ " (يو ٨: ٥٦)، لم يقل لهم كلاماً

دون أن يحدث، ولكن حقيقةً قد رأى إبراهيم السيد المسيح وهو
يحمل خشبة الصليب في شخص ابنه إسحاق وهو يحمل حطب
المحرقة (تك ٢٢). فكما حمل إسحاق حطب المحرقة حمل
السيد المسيح خشبة الصليب، وكما صعد إسحاق على جبل
المرثيا، ووضع على المذبح فوق الحطب هكذا صعد السيد المسيح
على جبل الجلجثة، وسُمِّرَ على الصليب، وكما رجع إسحاق
حيّاً، هكذا قام السيد المسيح من القبر في اليوم الثالث.

وأيضاً رأى إبراهيم السيد المسيح، في شخص ملكي صادق
ملك ساليمة، وهو أحد الرموز الواضحة للسيد المسيح (تك
١٤: ١٧ - ٢٠)، (عب ٧). ورأى أبونا إبراهيم السيد
المسيح قبل مجيئه في رموز كثيرة، وسمع بأذنيه كلمات ووعوداً
كثيرة من فم الرب ذاته، عندما ظهر له الرب عند بلوطات ممرا،
وهو جالس على باب خيمته، وقت حر النهار (تك ١٨).

يكمل الكاهن أوشية الإنجيل قائلاً (أذكر أيضاً يا سيدنا...
الذين سبقوا يارب نيحهم، المرضى اشفهم ..).

وأبونا إبراهيم كأب البطارقة يمثل الكاهن، الذي يطلب من
أجل الراقيدين الذين ماتوا بالخطية. مثل أولئك الذين عملوا برج
بابل، وبلبل الله ألسنتهم (تك ١١: ١ - ٩)، ومثل أهل
سدوم وعمورة الذين أحرقتهم الرب بالنار والكبريت (تك ١٩).

كما يصلى أيضاً من أجل المرضى بالخطية، مثل لوط وابنتيه اللتين دخلتا على أبيهن على خلاف الطبيعة، وأنجبت الكبرى ابناً ودعت اسمه موآب، والصغرى أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى، وهو أبو بني عمون.

(٦) (الأوشى الخمس الصغار

عندما ينتهي الشماس من قراءة الإنجيل، يمسك الكاهن الجمرة ويقف عند باب الهيكل، ويبدأ في صلاة الأوشى الخمس الصغار، وهي:

(أ) أوشية السلامة:

يصلى الكاهن من أجل سلام الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. وأبونا إبراهيم ككاهن كنيسة العهد القديم، المكوّنة من القلة القليلة المتمسكة بعبادة الله، يطلب من أجل سلامها وأن يحل السلام بين أعضائها. فيحل السلام بين سارة وهاجر، ولا تعودان للمشاجرة بعد (تك ١٦)، وكذلك يحل السلام بينه وبين لوط ابن أخيه (تك ١٣: ٥ - ٩).

ومن بعد إبراهيم أصبح إسحاق كاهن الكنيسة، يطلب من أجل سلام أعضائها، وخاصة بين ابنه عيسو ويعقوب (تك ٢٧: ٢١ - ٤٥)، ومن بعده يعقوب ككاهن يطلب من الله،

{٤٤}

أن يحل السلام بينه وبين خاله لابان (تك ٣١)، وبين يوسف وإخوته (تك ٣٧).

(ب) أوشية الآباء:

يكمل الكاهن الصلاة، فيصلى من أجل رئيس الكهنة البابا البطريرك، ليحفظه الرب سنيناً عديدة وأزمنة هادئة مديدة.

وهكذا عاش الآباء البطارقة، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، في هدوء وسلام، فيذكر الكتاب عن إبراهيم قائلاً " وَهَذِهِ أَيَّامُ سِنِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي عَاشَهَا: مِئَةٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبَعَانِ أَيَّامًا وَأَنْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ " (تك ٢٥: ٧، ٨). ويذكر عن إسحاق " وَكَانَتْ أَيَّامُ إِسْحَاقَ مِئَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً. فَأَسْلَمَ إِسْحَاقُ رُوحَهُ، وَمَاتَ وَأَنْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ، شَيْخًا وَشَبَعَانِ أَيَّامًا " (تك ٣٥: ٢٨، ٢٩).

وعندما هرب يعقوب مع امرأته ليئة وراحيل ومعه كل أملاكه، تتبعه لابان فاعترف له يعقوب بعناية الله به، قائلاً له " لَوْلَا أَنَّ إِلَهَ أَبِي إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَهَيَّبَةَ إِسْحَاقَ كَانَ مَعِي، لَكُنْتُ الْآنَ قَدْ صَرَفْتَنِي فَارِعًا. قَدْ نَظَرَ اللَّهُ مَشَقَّتِي وَتَعَبَ يَدَيَّ، فَوَبَّخَكَ الْبَارِحَةَ " (تك ٣١: ٤٢)، " فَكَانَتْ أَيَّامُ يَعْقُوبَ سِنُوحَيَاتِهِ، مِئَةٌ وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً " (تك ٤٧: ٢٨).

{٤٥}

(ج) أوشية الموضع:

بعد ذلك يطلب الكاهن قائلاً (أذكر يارب خلاص هذا الموضع المقدس الذي لك، وكل المواضع وكل ديارات آبائنا الأرثوذكسيين). ثم يكمل الصلاة قائلاً (وكل مدينة وكل كورة والقرى وكل زينتها، ونجنا كلنا من الغلاء والوباء والزلازل والغرق والحريق وسبي البربر، ومن سيف الغريب ومن قيام المهرطقة).

كان إبراهيم ككاهن الكنيسة، يطلب إلى الله من أجل النجاة من سبي البربر ومن سيف الغريب، ويطلب خاصة من أجل السبي الذي وقع للوط ابن أخيه ولأهل سدوم وعمورة في حرب كدرا لعمور (تك ١٤)، واستجاب الله لصلواته " وَأَنْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا هُوَ وَعَبِيدُهُ فَكَسَّرَهُمْ ... وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الْأَمْلَاكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطًا أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلَاكَهُ وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ " (تك ١٤: ١٥، ١٦).

ولما علم إبراهيم من الله ما سيفعله الله بسدوم وعمورة. وقف إبراهيم ككاهن، يطلب بلجاجة من أجل أن يرفع الرب غضبه، ويرحم أعضاء كنيسته، فيقول عنه الكتاب " وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ " (تك ١٨: ٢٢). واستمر إبراهيم يتشفع أمام الله، حتى لا يهلك المكان، قائلاً له

" أَفْتَهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الْأَيْمِ؟ " (تك ١٨: ٢٣)، واستمر إبراهيم واقفاً أمام الله يتشفع، حتى أن الله سمع له ووعدته ألا يهلك المكان إن وجد هناك عشرة رجال أبرار. ولكن لم يكن في المدينة عشرة رجال صالحين، فأهلك الرب المدينة وأحرقها بالنار والكبريت (تك ١٩). ومن محبة الله لأولاده الأبرار، أرسل الملاكين لينقذا لوط وامرأته وابنتيه.

وكان أيضاً يعقوب، ككاهن الكنيسة في زمانه، يطلب إلى الله حتى ينجيه من السبي ومن سيف الغريب. فبعد أن نجس شكيم دينة ابنة يعقوب " أَنْ ابْنِي يَعْقُوبَ شَمْعُونَ وَلَاوِي أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتْلًا كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتْلًا حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بَحْدَ السَّيْفِ وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ " (تك ٣٤: ٢٥ - ٣١)، بعد ذلك صعد يعقوب إلى بيت إيل وأقام هناك مذبحاً لله (تك ٣٥: ١ - ١٥)، وطلب من الرب أن ينجيه من سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين (تك ٣٤: ٣٠) واستجاب الرب لصلاة يعقوب " وَكَانَ خَوْفُ اللَّهِ عَلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَهُمْ، فَلَمْ يَسْعُوا وَرَاءَ بَنِي يَعْقُوبَ. " (تك ٣٥: ٥).

❖ أوشية المياه :

وعندما يصلى الكاهن أوشية المياه، نتذكر إبراهيم ككاهن يصلى من أجل المياه في أيامه أيضاً. فيذكر لنا الكتاب عن ذلك قائلاً " وَعَاتَبَ إِبْرَاهِيمُ أَيْمَالِكَ لِسَبَبِ بئرِ الْمَاءِ الَّتِي اغْتَصَبَهَا عَيْدُ أَيْمَالِكَ " (تك ٢١ : ٢٥) وقطع كلاهما عهداً في بئر سبع. وما حدث مع إبراهيم تكرر مع ابنه إسحاق، فحسده الفلسطينيون على نجاحه " وَجَمِيعُ الْآبَارِ الَّتِي حَفَرَهَا عَيْدُ أَبِيهِ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ طَمَّهَا الْفَلَسْطِينِيُّونَ وَمَلَأُوهَا تُرَاباً " (تك ٢٦ : ١٥)، " فَعَادَ إِسْحَاقُ وَنَبَشَ آبَارَ الْمَاءِ، الَّتِي حَفَرُوهَا فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ، وَطَمَّهَا الْفَلَسْطِينِيُّونَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَدَعَاَهَا بِأَسْمَاءِ كَالْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَاَهَا بِهَا أَبُوهُ " (تك ٢٦ : ١٨ - ٢٥) .

واستجاب الله لصلاة إسحاق ككاهن، من أجل المياه، وأكثرها جداً " وَحَدَّثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ عَيْدَ إِسْحَاقَ جَاءُوا وَأَخْبَرُوهُ عَنِ الْبئرِ الَّتِي حَفَرُوا، وَقَالُوا لَهُ: قَدْ وَجَدْنَا مَاءً. فَدَعَاَهَا "شَبْعَةَ". لِذَلِكَ اسْمُ الْمَدِينَةِ بئرُ سَبْعٍ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. " (تك ٢٦ : ٣٢، ٣٣) .

أما عن الصلاة من أجل الغلاء والجوع، فنجد إبراهيم يصلى إلى الله، حتى يرفع عنه الغلاء والجوع الذي حدث في أيامه واضطره للتزول إلى مصر (تك ١٢)، وتكرر مرة أخرى واضطره للتزول إلى جزار (تك ٢٠) .

وحدث نفس الشيء مع إسحاق ابنه " فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَيْمَالِكَ مَلِكِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ إِلَى جَرَّارٍ .. " (تك ٢٦ : ١) . وحدث أيضاً مع يعقوب، فأرسل أولاده ليشتروا قمحاً من مصر، وهناك تقابلوا مع يوسف أخيهم (تك ٤١ : ٢٥ - ٣٦)، (تك ٤٢، ٤٣) .

(د) أوشية الزروع أو المياه أو الأهوية :

بعد ذلك يصلى الكاهن أوشية الزروع، أو المياه، أو الأهوية، وذلك حسب ميعاد كل أوشية.

❖ أوشية الزروع :

حينما يصلى الكاهن أوشية الزروع نذكر ما حدث مع إسحاق الذي قال عنه الكتاب " وَزَرَاعَ إِسْحَاقُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ (أرض الفلسطينيين في جزار)، فَأَصَابَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِئَةٌ ضِعْفٍ، وَبَارَكَهُ الرَّبُّ " (تك ٢٦ : ١٢) .

(ه) أوشية الاجتماعات:

يكمل الكاهن الصلاة بأوشية الاجتماعات قائلاً (اذكر يارب اجتماعاتنا باركها) وهو يبارك الشعب بالصليب. وفي هذه الأوشية نتذكر عهد الرب مع أبينا إبراهيم، والبركة التي أعطها له قائلاً " وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الْأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ " (تك ١٣: ١٦)، وفي مواضع أخرى يكرر هذه البركة قائلاً " فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأَعْظِمَ اسْمَكَ " (تك ١٢: ٢)، " وَأَكْثَرَكَ كَثِيرًا جَدًّا " (تك ١٧: ٢)، " وَتَكُونُ أَبًا لِحُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ ... لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِحُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ " (تك ١٧: ٤، ٥)، وبعدها أضاف إبراهيم الله ومعه الملاك كان قال الرب في كلامه معه " وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ " (تك ١٨: ١٨). وبعده أن أطاع إبراهيم كلام الله وأخذ ابنه وحيد حبيبه إسحاق ليصعده على المذبح، ناداه الله قائلاً " ... أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا، كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ... وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعِ أُمَّمِ الْأَرْضِ " (تك ٢٢: ١٥ - ١٨)، " وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ " (تك ٢٤: ١).

واستمر وعد الله لإبراهيم. فبارك ابنه إسحاق وقال له " فَأَكُونُ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ ... وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعِ أُمَّمِ الْأَرْضِ " (تك ٢٦: ٣، ٤). وانتقل الوعد بالبركة لابنه يعقوب. فظهر الرب له وهو هارب من وجه أخيه عيسو، وقال له " وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَثْرَابَ الْأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا. وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعِ قِبَائِلِ الْأَرْضِ " (تك ٢٨: ١٤)، " وَبَارَكَهُ هُنَاكَ " (تك ٣٢: ٢٩)، " أَثْمَرٌ وَأَكْثَرُ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةٌ أُمَّمٌ تَكُونُ مِنْكَ. وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ ... " (تك ٣٥: ١١، ١٢). واستمرت البركة مع شعب بني إسرائيل، حتى وهم في مصر تحت عبودية فرعون والمصريين، فقال الكتاب عنهم " وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا أَذْلَوْهُمْ هَكَذَا نُمُوا وَامْتَدُّوا " (خر ١: ١٢).

(و) البركة

بعد الانتهاء من الأوشية الخمس الصغار، يصلى الكاهن الثلاثة تحاليل، فالبركة، ثم يصرف الشعب بسلام. وبركة الكاهن للشعب تشبه بركة إسحاق ككاهن لابنه يعقوب (تك ٢٧: ١٥ - ٣٣)، وبركة يعقوب ككاهن لفرعون مصر (تك ٤٧: ٧)، وبركة يعقوب لابني أفرايم ومنسى (تك ٤٨)، وبركة يعقوب لأولاده الاثني عشر المذكورة في (تك ٤٩).

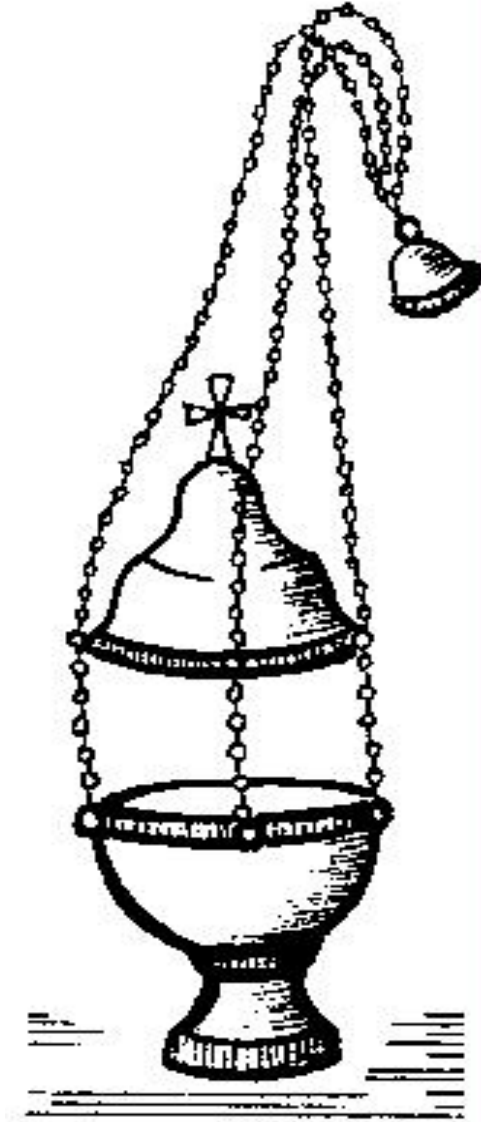
الباب الثاني

تسبحة نصف الليل،

ورفع بخور باكر

أولاً: تسبحة نصف الليل

- (١) ظلمة مرجبة
- (٢) في نصف الليل
- (٣) أبواق الهتاف
- (٤) قوموا يا بني النور (أو الحث على النهوض)
- (٥) عمود نار يضيء في الليل
- (٦) عبور البحر الأحمر وتسبحة النصر (الهوس الأول)
- (٧) رؤيا الخلاص وإعطاء السلام (المسمى):
- (٨) من البرية إلى أرض الموعد (الهوس الثاني)
- (٩) إلى سبي بابل (الهوس الثالث):
- (١٠) طلب شفاعة الراترين (الجمع)



الباب الثاني

تسبحة نصف الليل، ورفع بخور باكر

تسبحة نصف الليل، ورفع بخور باكر، يشملان المرحلة الثانية في كنيسة المسيح، وقد بدأت هذه المرحلة من ناموس موسى، إلى قبل مجيء السيد المسيح وتجسده على الأرض. وكانت تُساس الكنيسة في هذه الفترة، بالناموس الموسوي المكتوب، المعطى من الله لشعبه على يد موسى الذي يضم إليه كل الشرائع الأدبية والمدنية والطقسية.

وفي هذه المرحلة سوف نجد الترابط والتوافق، بين طقس تسبحة نصف الليل، ورفع بخور باكر، وبين أحداث وتاريخ هذه المرحلة في الكتاب المقدس، والتي تبدأ بتاريخ شعب بني إسرائيل في مصر إلى ما قبل تجسد السيد المسيح على الأرض.

أولاً: تسبحة نصف الليل

(١) ظلمة مرعبة

عند الانتهاء من رفع بخور عشية، تغرب الشمس ويسدل الليل بستره، وتزداد الظلمة كلما اقتربت عقارب الساعة من منتصف الليل، وغالباً ما يرجع المؤمنون كل واحد إلى منزله، في

(١١) الرجوع إلى أورشليم (الهموس الرابع)

(١٢) تزلجهم النبوات مع اقتراب موعد الخلاص (التيثيوطوكية)

(١٣) طلب الرحمة (ختام التيثيوطوكيات)

(١٤) تحرير العهر وطلب مراحم الله (ختام التسبحة)

ثانياً: رفع بخور باكر

(١) بزوغ أشعة ضئيلة من النور

(٢) الصلاة خارج الهيكل

(٣) تقديم الشكر لله

(٤) الصلاة عن خطايا شعب بني إسرائيل

(٥) طلب الرحمة والمغفرة (إفتوتى ناي نان)

(٦) العمل حسب الشريعة (أوشية الإنجيل)

(٧) الاعتراف بالخطايا (قراءة التحليل)

(٨) وضوح النبوات باقتراب الشروق

هذه الفترة، وينامون لحين القيام لحضور القداس الإلهي. وقد أظهر الله هذه الفترة لإبراهيم إذ أنه حدث " وَلَمَّا صَارَتْ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سَبَّاتٌ وَإِذَا رُغْبَةٌ مُظْلَمَةٌ عَظِيمَةٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَبْرَامَ: اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيَذُلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلَاقٍ جَزِيلَةٍ " (تك ١٥: ١٢ - ١٧).

وساعات الليل المظلمة، من بعد رفع بخور عشية إلى تسبحة نصف الليل، هي فترة الرعب المظلمة العظيمة، التي عاشها شعب بني إسرائيل في مصر، في عبودية مُرّة لفرعون. وشعب بني إسرائيل في ذلك الوقت، كان يمثل جماعة المؤمنين أي كنيسة المسيح، فقد هوت في ظلمة العبودية والخطية، تحت قبضة إبليس أي فرعون، بل إنها كادت تنهار من قسوة التسخير، ومرارة العبودية التي وقعت عليها. وصفها الكتاب المقدس في سفر الخروج قائلاً " فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعِبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ، فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلُّ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمَلُوهُ بِوَسَائِطِهِمْ عُنْفًا " (خر ١: ١٣، ١٤).

(٢) في نصف الليل

" وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا، فَصَعَدَ صَرَاحُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الْعِبُودِيَّةِ، فَسَمِعَ اللَّهُ أُنْيَهُمْ فَتَذَكَّرَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ ... " (خر ٢: ٢٣، ٢٤). سمع الله صراخ وأنين بني إسرائيل، فأرسل عبده موسى إلى فرعون، ليخلص شعبه من عبودية فرعون القاسية. وكان موسى رمزاً للسيد المسيح، الذي أرسله الآب إلى العالم حتى يحرر كنيسته وشعبه من عبودية إبليس.

وتبدأ الحرب مع فرعون، حينما يقف موسى أمامه، ويطلب منه حسب قول الرب له " أَطْلُقْ شَعْبِي لِيُعِيدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ " (خر ٥: ١) ولكنه في عناد يرفض إطلاقه، وتتكرر المواجهة مع فرعون عشرة مرات، وهو يخاتل في إطلاق الشعب، إلى أن ضربه الله في الضربة العاشرة، وأمات كل بكر في أرض مصر. وانتصر موسى وشعب بني إسرائيل على فرعون، بدم خروف الفصح، وخرجوا إلى البرية ليعبدوا الله.

وهذه الفترة تشير إلى الشدة التي تمر بها الكنيسة، في حرب مع قوى الشر، المتمثلة في إبليس وجنوده. فهي تجاهد ضده، لكي تقوم من مرارة العبودية، وتتحرر من سلطانه عليها. ولكنه مهما قاومها وأثناها عن قيامها، بشدة سهامه المتهبة، كانت في النهاية نُصرُتها عليه بدم المسيح المسفوك على عود الصليب، ليتم

وعده لها أن " وَأَبْوَابُ الْحَيِّمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا " (مت ١٦ : ١٨).

والنفس البشرية المُستغرقة في نوم عميق، لا شك أنها تعيش في ظلمة عظيمة، فهي كثيراً ما تحاول الاستيقاظ والقيام من نومها لكي تعبد الرب. ولكنها تجد إبليس في مواجهتها، يقيدتها برباطات الكسل والنعاس. ولكن مهما طال سلطان إبليس عليها، فلنا ثقة في دم المسيح، الذي سيحررها من قبضته، لتقوم وتستيقظ لتسبح رب القوات " فَحَدَّثَ فِي نَصْفِ اللَّيْلِ أَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بَكَرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَكَرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكَرِ الْأَسِيرِ الَّذِي فِي السَّجْنِ، وَكُلَّ بَكَرٍ بَهِيمَةٍ فَقَامَ فِرْعَوْنٌ لَيْلًا هُوَ وَكُلُّ عَبِيدِهِ وَجَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ. وَكَانَ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي مِصْرَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيِّتٌ " (خر ١٢ : ٢٩، ٣٠).

(٣) (أبواق الهتاف)

في الدير عندما تصل عقارب الساعة إلى الثالثة بعد منتصف الليل، يدق جرس الكنيسة ليعلن بدء صلاة نصف الليل وصلاة التسبحة، ودقات أجراس نصف الليل هي دقات الفرحة بالنصرة على إبليس، ودعوة للتحرر والقيام من عبودية إبليس، والانطلاق لعبادة الرب في الكنيسة.

{ ٥٨ }

وقبل خروج موسى وشعب بني إسرائيل من مصر " دَعَا (فرعون) مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلًا وَقَالَ: قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ شَعْبِي أَنْتُمْ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا وَأَذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ ... " (خر ١٢ : ٣١ - ٣٦).

(٤) قوموا يا بني النور (أو الحث على النهوض)

بعد صلاة مزامير نصف الليل بخدماتها الثلاث، تبدأ تسبحة نصف الليل بقطعة (تين ثينو.... أي قوموا يا بني النور لنسبح رب القوات ...)

ويبدأ لحن (تين ثينو) بنغمات كأنها دقات جرس منبه تدق (تين تين تين)، حتى ينتبه أبناء النور ويقوموا من نومهم ليسبحوا رب القوات الذي بقوته وقدرته انتصر على فرعون العقلي أي إبليس، وحررنا من عبودية إبليس.

ونلاحظ أيضاً أن لحن (تين ثينو) يبدأ بنغمات هادئة وديعة، ثم تتدرج بعد ذلك في الارتفاع، وكأن الكنيسة أم حنون تربت برفق على أجسام بنيتها، وتحثهم على النهوض من فراشهم ليسبحوا رب القوات. ولما وجدت البعض لم يستجيبوا لهزاتها الهادئة الوديعة، رفعت صوتها بهزات مرتفعة لكي ينتبهوا ويستفيقوا من نوم الغفلة، ويعطيهم الرب يقظة، فيقوموا ليسبحوا رب القوات.

{ ٥٩ }

ولعل موسى النبي يُعجّلُ شعب بني إسرائيل على الخروج من عبودية فرعون، ويحثهم على عبادة الرب قائلاً لهم (قوموا يا بني النور لنسبح رب القوات الذي أنعم لنا بخلاص نفوسنا... لتكن يدك لخلاصي لأنني اشتهيت وصاياك. اشتقت إلى خلاصك يارب، وناموسك هو تلاوتي. تحيا نفسي وتسبحك وأحكامك تعينني... ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه، وليهرب من قدام وجهه كل مبغضي اسمه القدوس. أما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف ربوات ربوات يصنعون إرادتك).

(٥) عمود نار يضيء في الليل

على الرغم من الخروج من عبودية إبليس والنصرة عليه. لكننا نجد أن تسبحة نصف الليل، تبدأ والظلام ما زال يخيّم على الطبيعة. وهذه كانت حكمة إلهية عند خروج بني إسرائيل من مصر، فيقول الكتاب عن ذلك " وَكَانَ لَمَّا أُطْلِقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: لئلاَّ يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر، فَأَدَارَ اللَّهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ " (خر ١٣ : ١٧، ١٨).

على الرغم من شدة الظلام الذي يخيّم على الطبيعة خارج الكنيسة وقت التسبحة، إلا أن قلوب المؤمنين داخل الكنيسة

{ ٦٠ }

تكون مستنيرة بالروح القدس الناري " وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَاراً فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ - لَكَيْ يَمْشُوا نَهَاراً وَلَيْلاً، لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَاراً وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ " (خر ١٣ : ٢١، ٢٢).

(٦) عبور البحر الأحمر وتسبحة النصر (الهوس الأول) (١)

بعد ذلك تُسبح الكنيسة الهوس الأول وهو الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج. فبعد أن عبر موسى بشعب الله البحر الأحمر، ورأوا قدرة الله الفائقة، وكيف أنقذهم من أيدي أعدائهم، سبحوا له تسبحة النصر (٢).

ثم يقال لبش الهوس الأول، وهو مديح على الهوس الأول، يعطى نفس المعنى المقصود في الهوس الأول.

في الربع الأول من لبش الهوس الأول يقول (قطعاً انقطع ماء البحر، والعمق صار مسلكاً)، إنها صورة واضحة وصوت

(١) للاستزادة ارجع إلى كتاب (مسيحننا فوق الزمان) للمنتيح الأنا يوانس أسقف الغربية ص ٥٩ - ٩٣.

(٢) للاستزادة ارجع إلى كتاب (خواطر روحية في التسبحة اليومية) للأنا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان ص ٤، ٥، ٨.

{ ٦١ }

(أ) الإنجيل من (لو ٢: ٢٩ - ٣٢)

(الآن تُطْلَقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ لِأَنَّ عَيْنِي
قَدْ أَبْصَرْتُ خَلَاصَكَ الَّذِي أَعَدَدْتَهُ قَدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ نُورَ
إِعْلَانٍ لِلْأُمَّمِ وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ).

هذه الآيات من الإنجيل، تُظهر اشتياقات النفس البشرية، التي
تحررت من عبودية إبليس، وعبرت مياه المعمودية، لتنتقل بسلام
في البرية لتعبد الرب إلهها.

كما أن هذا الفصل من الإنجيل، يُعبّر تعبيراً صادقاً حقيقياً،
عما حدث لبني إسرائيل، فإذا هم عبيد للرب انطلقوا بسلام من
عبودية فرعون، حسب قول الرب لهم بذبح حروف الفصح
ورش العتبة العليا والقائمتين بالدم... إذ رأوا بعيونهم الخلاص
العظيم الذي صنعه الرب معهم، وغرق مركبات فرعون وجنوده
في البحر الأحمر. وصار هذا الخلاص ظاهراً قدام جميع الشعوب
والأمم كنور يتجلى أمامهم وأيضاً صار مجداً وفخراً لشعبه
إسرائيل.

(ب) القطعة السابعة:

وهي تحتوي على لحنين رائعين في العمق الروحي واللاهوتي،
يُسمّى الأول منها "لحن شيرى" والثاني "لحن سيموتي".

يدوى في أذن كل شخص انقطع رجاء خلاصه من عبودية
وسلطان إبليس. فمهما كان البحر عميقاً وأمواجه مرتفعة عالية،
ومهما أذلتك الخطية ووقعت تحت عبوديتها وسلطانها، فثق في
رب القوات إنه معك، ويستطيع أن يقطع هذا الماء ويجعل العمق
العميق مسلكاً وطريقاً تمشي عليها، حتى تعبر إلى حياة النصر،
ولتعبد الرب في البرية. كما يقول الكتاب في سفر زكريا النبي
"لَا بِالْقُدْرَةِ وَلَا بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، مَنْ أَنْتَ
أَيُّهَا الْجَبَلُ الْعَظِيمُ؟ أَمَامَ زَرْبَابِلَ تَصِيرُ سَهْلًا" (زك ٤: ٦، ٧).

ثم يكمل اللبش بنفس المعنى قائلاً (ماء منحل وقف، بفعل
عجيب معجزى) (غرق فرعون ومركباته، وعبر بنو إسرائيل
البحر).

(٧) رؤيا الخلاص وإعطاء السلام (الربيعي)

يُقال إنجيل (لو ٢: ٢٩) وبعده القطعة السابعة والثامنة
والتاسعة من ثيئوطوكية يوم الأحد بعد الهوس الأول ولُبشته،
وذلك على مدار أيام الأسبوع، ما عدا يوم الأحد. أما يوم
الأحد فيقال الهوس الثاني مباشرة بعد لبش الهوس الأول، لأن
الإنجيل والقطع الثلاثة ستقال في موضعها في الثيئوطوكية.

أما اللحن الأول فهو يعطى السلام والتعظيم للسيدة العذراء، التي ولدت لنا الله الكلمة بغير زرع بشر وهي عذراء. فتجسد منها وصار في شبه البشر ما خلا الخطية وحدها، لكي ما يعطينا الخلاص، بدمه المسفوك على عود الصليب. فإن كان لنا الخلاص بدمه فلا ينبغي أن نتجاهل دور أمه العذراء في هذا الخلاص. إذ ينبغي أن نعطيها كل إكرام وتمجيد.

واللحن الثاني يُشبه السيدة العذراء بالقبة الثانية التي للأقداس، تلك الموضوع فيها عصا هارون، والزهرة المقدسة التي للبخور وفيه يربط السيدة العذراء بابنها الذي ولدته بدون زرع بشر، مثل عصا هارون التي أزهرت بغير سقى ولا ماء. وأيضاً صارت قبة ثانية تحمل السيد المسيح، وهو القدوس المولود منها.

(ج) القطعة الثامنة:

وهذه القطعة تُظهر عمل السيد المسيح (إلهنا الحقيقي الذي أتى من أجل خلاصنا متجسداً. وتجسد من الروح القدس ومن مريم العروس الطاهرة. وحوّل حزننا وكل ضيقنا إلى فرح قلب وتهليل كلي... من أجل ذلك نسجد له ونرتل لأمه مريم الحمامة الحسنة.. ونصرخ بصوت التهليل قائلين: السلام لك يا مريم أم عمانوئيل) ويتكرر السلام للعذراء مريم عدة مرات تمجيدياً وإكراماً لها لأنها صارت أمّاً لله الكلمة الذي خلصنا.

(د) القطعة التاسعة:

وهي تعيد التمجيد للسيدة العذراء، الزهرة المقدسة التي للبخور. فهي كزهرة مقدسة أخرجت بخوراً. احترق هذا البخور بنار الآلام والأحزان على عود الصليب، فاشتتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة، رائحة رضا عن العالم كله.

ثم يذكر عن العذراء أنها مثال عصا هارون الكاهن، التي أزهرت وأوسقت ثمراً بدون سقى أو ماء، كمشال لميلاد الله الكلمة من العذراء مريم بغير زرع بشر.

ونجد أن القطع الثلاث السابقة، تحتوي على ذكر بعض الأجزاء في خيمة الاجتماع، كالقبة الثانية التي للأقداس، وعصا هارون، والزهرة المقدسة التي للبخور، وكل هذه أحداث مرت على شعب بنى إسرائيل، وهو سائر في برية سيناء. يخبرنا عنها بالتفصيل أسفار الخروج واللاويين والعدد والتثنية.

(٨) من البرية إلى أرض الموعد (اليهوس الثاني)

وهو عبارة عن المزمور (١٣٥) حسب النسخة القبطية. وهو تسبحة شكر لله، الذي يعطينا النصر والغلبة على الأعداء الخفيين والظاهرين بمعونة ربنا يسوع المسيح، كما أعطى الغلبة والنصرة لبني إسرائيل على يد موسى النبي، فتخلصوا من فرعون

وجنوده، وانشق البحر الأحمر وعبروا على اليابسة (١)، والهوس الثاني يعتبر امتداداً للهوس الأول ففيه يقدم بنو إسرائيل الشكر لله الذي أخرجهم من أرض مصر، وسيّرهم في برية سيناء، فيقول المرتل فيه:

❖ الذي ضرب المصريين مع أبكارهم الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٢: ٢٩).

❖ وأخرج إسرائيل من وسطهم الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٢: ٥١)، (خر ١٣: ٣، ١٧).

❖ الذي شق البحر الأحمر إلى أقسام الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٤: ٢١، ٢٢).

❖ وأجاز إسرائيل في وسطه الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته.

❖ وطرح فرعون وكل قوته في البحر الأحمر الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٤: ٢٧).

❖ الذي أخرج شعبه إلى البرية الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٣: ١٨، ١٥: ٢٢).

(١) عن كتاب (خواتر روحية في التسبحة اليومية) ص ٨ لنيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر.

ثم يصف ما حدث لبني إسرائيل في البرية حينما تدمروا على موسى في رفيديم لأجل الماء فيقول:

❖ الذي أخرج ماء من صخرة صماء الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٧).

ثم يذكر بعض الملوك الذين ضربهم بنو إسرائيل فيقول:

❖ سيحون ملك الأموريين الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (عد ٢١: ٢١)

❖ وعوج ملك باشان الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (عد ٢١: ٣٣).

ثم يذكر المن والسلوى اللذين أعطاهما الله لبني إسرائيل طعاماً لهم في البرية، يقول:

❖ الذي يعطى خبزاً لكل بشر الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته (خر ١٦).

ويذكر أيضاً الأرض التي امتلكها بنو إسرائيل، وقسمها يشوع بن نون لهم، فيقول:

❖ وأعطى أرضهم ميراثاً الليلويا، لأن إلى الأبد رحمته.

✦ ميراثاً لإسرائيل عبده الليلوياء، لأن إلى الأبد رحمته
(يش ١٢: ١ - إلخ).

ويتكرر نفس المعنى في لبش الهوس الثاني فيقول:

✦ أخرج ماء من صخرة، وسقى شعبه في البرية.

وفي لبش الهوس الثاني نجد الربع الذي يقول: (صنع الإنسان
كشبهه وصورته، ليباركه) هذا ما حدث بالفعل لأولاد الله،
الذين عبروا مياه البحر الأحمر كرمز للمعمودية. فنحن في
المعمودية نخلع الإنسان العتيق بخطاياها وضعفاته، ونلبس الجديد
الذي على صورة خالقه كما يقول بولس الرسول " كُلٌّ مَنْ
اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحَ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ
لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا
نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جَدَّةِ الْحَيَاةِ، لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صَرْنَا مُتَّحِدِينَ
مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ " (روم ٦: ٣ - ٥)، " لِأَنَّ
كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ، قَدْ لَبِسْتُمْ الْمَسِيحَ " (غل ٣:
٢٧)، (كو ٢: ١٢).

ولذلك يتبع هذا الربع، ربع آخر قائلاً (فلنسبحه ونرفع
اسمه ونشكره، لأن رحمته كائنة إلى الأبد) لأنه بعد استنارة
المؤمنين في مياه المعمودية، وتحديد الطبيعة البشرية بالميلاد الثاني،

لا يبقى لهم سوى تسبيح الخالق وتمجيد اسمه وشكره على
الدوام.

وعندما نقول في لبش الهوس الثاني (فلنشكر المسيح إلهنا،
مع المرتل داود النبي) فكأننا نذكر الفترة التي شملت حياة داود
كلها، سواء مع جليات الجبار أو مع شاول الملك، أو عندما
أصبح ملكاً على بني إسرائيل إلى نهاية حياته، وهي مذكورة في
سفر صموئيل الأول والثاني.

(٩) (إلى سبي بابل) (الهوس الثالث)

بعد ذلك يُقال الهوس الثالث، وهو عبارة عن الإصحاح
الثالث من تنمة دانيال، وسبح به الثلاثة فتية وهم في أتون النار،
عندما رفضوا السجود للتمثال الذهب، الذي نصبه نبوخذنصر
الملك. فأمر الملك بإلقائهم في الأتون، ولكن نار الأتون لم
تضرهم بشيء، بل صارت كندى بارد، وشاهد الملك معهم في
الأتون شخصاً رابعاً شبيهاً بابن الآلهة، وكان الثلاثة فتية شدرخ
وميشخ وعبدناغو، يسبحون الله ويمجدونه ويباركونه في الأتون،
وزيادة في الإيضاح نذكر أن عملية السبي البابلي لليهودا، تمت
على ثلاث مراحل (١):

(١) (تفسير سفر دانيال) للقمص تادرس يعقوب ملطي ص ٤٩ .

(أ) الترحيل الأول: عام ٦٠٦ ق.م. أو ٦٠٥ ق.م. بعد معركة كركميش، التي فيها غلب نبوخذ نصر فرعون مصر نحو، فاتجه إلى أورشليم. وفيه سبي دانيال وأصدقاؤه الثلاثة، وأخذ نبوخذ نصر بعض آنية بيت الرب، ووضعها في هيكل البعل ببابل، وترك الملك يهوياقيم على العرش كتابع له، يخضع لسلطانه.

(ب) الترحيل الثاني: حوالي عام ٥٩٨ ق.م. أو ٥٩٧ ق.م. بعد ثمان سنوات من سبي دانيال والثلاثة فتية، وفيه سبي حزقيال النبي. وتم هذا السبي عندما ثار ملكا يهوذا يهوياقيم ويهوياكين على نبوخذنصر، فجاء الملك وأخذ بقية أواني الهيكل وكنوزه، وسبي الملك يهوياقيم ومعه ١٠٠٠٠ أسير من الأشراف ورجال الجيش والصناع والمهرة ولم يترك في يهوذا سوى مساكين الشعب (حز ١: ٣ - ١، أي ٣٦: ١٠، ٢ مل ٢٤: ٨ - ٢٠).

(ج) الترحيل الأخير: عام ٥٨٨ ق.م. أو ٥٨٧ ق.م.، فيه جاء الملك للمرة الثالثة، ليعاقب صدقيا الملك على تمرده " وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ. وَكُلَّ بُيُوتَ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ " (٢ مل ٢٥: ٩). كما قتل أبناء صدقيا آخر ملوك يهوذا، وقلع عيني الملك

نفسه، وقاده إلى بابل مقيداً بالسلاسل، وهكذا تم خراب أورشليم والهيكل وتحطم المجتمع اليهودي (٢ مل ٢٥: ١ - ٧، إر ٣٤: ١ - ٧).

بعد الهوس الثالث، تقال إبصالية واطس للثلاثة فتية القديسين، ثم يقال بعدها مديح للثلاثة فتية بلحنه الجميل، وقد سبح به عزاريا وهو في وسط الأتون فقال [تتبعك بكل قلوبنا ونخافك ونطلب وجهك، يا الله لا نخزنا، بل اصنع معنا بحسب دعتك، وكثرة رحمتك يارب أعننا].

سبي بابل الذي حدث ليهوذا، يظهر عمق الشر الذي هوى فيه العالم، وخاصة شعب يهوذا الذي انحرف عن عبادة الله، وتمسك بالعبادة الوثنية برجاساتها، ومقاومته لصوت الله من خلال الأنبياء.

إن مرارة السبي الذي عاشه أولاد الله، تعلن عن شدة الاحتياج إلى مخلص، خاصة بعد أن تفاقمت صعوبة الحياة وثقلت العبودية.

ارتفعت النار في الأتون إلى ٤٩ ذرعاً (تتمة دانيال ٣: ٢٣)، رمز إلى ٤٩٠٠ سنة، من مخالفة آدم والوعده بمجيء ربنا يسوع

المسيح إلى بدء ملك نبوخذنصر الذي أمر بإلقاء الثلاثة في أتون النار (الذراع بمعدل ١٠٠ سنة) (١).

(١٠) طلب شفاعة الرقيق (الجمع)

بعد ذلك يُقال بجمع القديسين، ثم الذكصولوجيات ويحتوي مجمع التسبحة على باقة من القديسين الذين سبقونا فرقدوا وتشمل رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين وعلى رأسهم القديسة الطاهرة مريم، ومن بعدها الملائكة وكل الطغيمات السمائية. إننا نطلب من القديسين في مجمع التسبحة شفاعتهم وطلباتهم، حتى يعيننا الرب ويكمل أيام غربتنا على الأرض بسلام كما أعانهم، وننضم إليهم في السماء.

ويُذكر في مجمع التسبحة، من قديسي العهد القديم، الآباء البطارقة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم يُذكر أحنوخ الصديق وإيليا وأليشع تلميذه، ومن بعدهم موسى رئيس الأنبياء وإشعياء وإرميا وداود المرتل، وحزقيال ودانيال ويواقيم وحنة، ويوسف الشيخ وأيوب ويوسف ونيقوديموس، وملشيصادق وهارون وزكريا وسمعان، وأخيراً صفوف الأنبياء والأبرار والصديقين. فكثيراً ما كان الآباء والأنبياء، يطلبون شفاعات وصلوات مَنْ

(١) (خواطر روحية في التسبحة اليومية) ص ٩ لنيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر.

سبقوهم من الآباء الراقدين، وهذا ما طلبه الثلاثة فتية وهم في أتون النار، فصلى عزاريا قائلاً [لا تصرف رحمتك عنا لأجل إبراهيم خليلك وإسحاق عبدك وإسرائيل قديسك].

(١١) الرجوع إلى أورشليم (الهوس الرابع)

يُقال الهوس الرابع بعد مجمع التسبحة، وهو كما أشرنا سابقاً في تسبحة عشية، يُمثل الراحة، حيث الوجود في الحضرة الإلهية، والتمتع بحياة التسبيح وتمجيد الله.

والهوس الرابع هنا يُشير إلى الراحة التي تمتع بها بنو إسرائيل وعاشوها، بعد الرجوع من السبي البابلي، الذي استمر سبعين سنة، حيث رجعوا إلى أورشليم التي يوجد فيها الهيكل والعبادة الحقيقية لله. وحدث ذلك إذ " نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارَسَ، فَأَطْلَقَ نَدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِالْكِتَابَةِ أَيْضاً قَائِلاً: هَكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارَسَ: جَمِيعَ مَمَالِكِ الْأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أُنْبِي لَهُ بَيْتاً فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا، مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ لِيَكُنْ إِلَهُهُ مَعَهُ وَيَصْعَدُ إِلَيَّ أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا، فَيُنْبِي بَيْتَ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. هُوَ إِلَهُ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ " (عزرا ١)، (٢ أخ ٣٦: ٢٢، ٢٣).

ويذكر الكتاب حياة التسبيح والعبادة والفرح، التي عاشها بنو إسرائيل بعد رجوعهم إلى أورشليم فيقول " وَذَبَحُوا فِي

ذَلِكَ الْيَوْمِ ذَبَائِحَ عَظِيمَةً... وَسَمِعَ فَرَحَ أُورُشَلِيمَ عَن بُعْدِ " (نح ١٢: ٤٣). " لِأَنَّهُ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ وَأَسَافَ مُنْذُ الْقَدِيمِ كَانَ رُؤُوسُ مُعْنَيْنَ، وَعِغْنَاءُ تَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ لِلَّهِ " (نح ١٢: ٤٦).

(الإبصالية) تمجيد (اسم الله) في (أورشليم)

والإبصالية هي تمجيد وترتيل لاسم الله. وهي امتداد لحياة التسبيح والفرح التي عاشها الشعب في أورشليم في الهوس الرابع.

(١٢) (تزامم النبوات مع اقتراب موعد الخلاص) (التيثوطوكية)

بعد الإبصالية تُقال التيثوطوكية الخاصة باليوم. (فكل واحدة من التيثوطوكيات الأسبوع، تختص بإظهار جانب من جوانب الميلاد العذراوي، وسر الفداء العظيم، وتتميم كافة النبوات والرموز التي وردت بهذا الشأن في العهد القديم) (١).

فمع اقتراب مجيء حمل الله، واقتراب بزوغ شمس البر، تكثر نبوات الأنبياء عن المخلص، الذي سيأتي ويسحق رأس الحية، ويصالح الإنسان مع الله ويرده إلى رتبته مرة أخرى.

فنجد أن التيثوطوكية يوم الأحد، تتضمن رموزاً وتشبيهات عن السيد المسيح والسيدة العذراء. في خيمة الاجتماع، كتابوت

(١) (خواطر روحية في التسبحة اليومية) ص ١٣ لنيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر.

{٧٤}

العهد ولوحي الشريعة وقسط المن وعصا هارون وقدس الأقداس والمنارة الذهبية ومذبح البخور ومائدة خبز الوجوه.... وغيرها من الرموز.

وفي التيثوطوكية يوم الاثنين تُعقد مقارنة بين آدم الأول الساقط الحزين، وحواء التي أغرقتها الحية. وبين السيد المسيح آدم الثاني والعذراء مريم حواء الجديدة.

ونجد التيثوطوكية يوم الثلاثاء تتحدث عن كرامة العذراء وطهارتها وعن أعجوبة ميلاد السيد المسيح كما أشارت إلى نبوة دانيال النبي الذي رأى جبلاً وقد قُطع منه حجر بدون أن تلمسه يد إنسان، ثم صار جبلاً عظيماً ملاً الأرض كلها (دا ٢: ٣٤).

ونجد التيثوطوكية يوم الأربعاء تتحدث عن تحقيق النبوات، وتكريم السمائيين والأرضيين للعذراء السماء الثانية التي حملت ابن الله الذي لا تسعه السماء والأرض.

كما أشارت التيثوطوكية إلى نبوة حزقيال النبي، الذي رأى باباً مقفلاً بخاتم عجيب، دخل وخرج منه رب الأرباب والباب مقفل على حاله (حز ٤٤: ١). كما أشارت أيضاً إلى نبوة إشعياء النبي، عن زيارة العائلة المقدسة إلى مصر، وتشبيه السيدة العذراء بالسحابة السريعة الحاملة للرب، وقادمة إلى مصر (إش ١٩: ١).

{٧٥}

ونجد **ثيئوطوكية يوم الخميس** تعقد تشبيهاً رائعاً بين العليقة التي رآها موسى النبي في البرية، والنيران مشتعلة فيها، وهي لا تحترق، وبين مريم العذراء، التي حملت جمر اللاهوت، ولم تحترق أحشاؤها.

ونجد **ثيئوطوكية يوم الجمعة** تتحدث عن عظم كرامة العذراء مريم، التي فاقت السماء والأرض وكل ما فيها. وهي أيضاً تذكر نبوة ملاخي " **وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبَرِّ، وَالشَّفَاءُ فِي أَجْنَحَتِهَا** " (ملا ٤: ٢). وإتمامها بمجيء السيد المسيح شمس البر، الذي أشرق لنا من العذراء مريم.

ونجد **ثيئوطوكية يوم السبت** تتحدث عن العذراء العفيفة القديسة في كل شيء التي قدمت لنا الله محمولاً على ذراعيها. كما تشبه السيدة العذراء بالسلم الذي رآه يعقوب، منتصباً من الأرض إلى السماء، والرب المخوف عليه (تك ٢٨).

ومن جانب آخر، نجد الكتاب المقدس يحوى كثيراً من النبوات الخاصة بميلاد السيد المسيح من العذراء مريم، وعمله الخلاصى على الصليب، وقيامته (يمكنك الرجوع إلى قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦١ - ٨٦٣ للتعرف على بعض هذه النبوات). وتكثر هذه النبوات مع اقتراب موعد ظهور شمس البر وتجسد السيد المسيح وميلاده من العذراء مريم. وخاصة بعد

انتهاء فترة السبي البابلي، ورجوع يهوذا إلى أورشليم. فنجد نبوات كثيرة في أسفار زكريا النبي وحجي وعوبديا وملاخي ويوثيل، وأيضاً في سفر دانيال وحزقيال اللذين كانا في أيام السبي البابلي.

اللُّبش الخاص بالثيئوطوكية

وهو تفسير يُقال في ختام الثيئوطوكيات. ويحتوى على معانٍ روحية ولاهوتية. كتفسير مطابق لما جاءت به الثيئوطوكية. وهو أيضاً يشير إلى اقتراب موعد مجيء المخلص.

(١٢) طلب الرِّمَّة (ختام الثيئوطوكيات)

بعد اللُّبش، يُقرأ الدفنار، وهو سيرة مختصرة لقديس اليوم، مع مدحه على جهاداته وأتاعابه. ثم يُقال بعده (ختام الثيئوطوكيات) الواطس (في أيام الأربعاء والخميس والجمعة والسبت)، أو الآدام (في أيام الأحد والاثنين والثلاثاء). وهي طلبات لاستمطار مراحم الله على خليقته. وهي تتناسب مع اقتراب موعد إشراق شمس البر، أي يسوع المسيح، الذي كانت تنتظره الخليقة كلها، ليخلصها من خطاياها الكثيرة، التي صارت مثل رمل البحر، وأكثر من عدد النجوم والجبال. فمراحمه واسعة ليس لها حدود تقف عندها، مهما كانت خطايا البشرية صعبة وكثيرة.

وعندما تطلب النفس البشرية مراحم الله، تُذكَّرُه بالعشار الذي قبله، والزانية التي غفر لها، واللص اليمين الذي ذكره. وكأنها تطلب من الله أن يقبلها، ثم يغفر لها خطاياها، وبعد ذلك تطمع في أن يذكرها ليكون لها نصيب في ملكوته.

وتستمر البشرية في طلب مراحم الله، إذ تُظهر له محبته للخطاة، وأنه لا يشاء موت الخاطيء، مثل أن يرجع وتحميا نفسه.

كل طلب الرحمة هذا بلا شك يتناسب مع شعب بني إسرائيل، الذي عاش فترة السبي، بعيداً عن عبادة الله، وقد اتسخت حياته هناك بالخطية. فلذا عندما رجع إلى أورشليم، حيث يوجد الهيكل، شعر بجُرم خطيته واحتياجه لمراحم الله.

(١٤) تجريد العهر وطلب مراحم الله (ختام التسبحة)

يُقال قانون الإيمان، ثم ختام التسبحة [يا الله ارحمنا ...] ثم قدوس قدوس قدوس، وأبانا الذي في السموات.

يُعتبر قانون الإيمان إعلاناً عن إيمان الشخص. أما الطلبة التي تُقال في ختام التسبحة، ففيها انسحاق ولجاجة واحتياج لمراحم الله ومعونته. ولعل هذا يتفق مع ما فعله بنو إسرائيل بعد الرجوع إلى أورشليم. فقد وقفوا معاً مقدمين توبة جماعية عن خطاياهم معلنين إيمانهم الكامل بإله إسرائيل، قائلين " فَلتَقَطَّعْ

الآن عَهْدًا مَعَ إِلَهِنَا " (عزرا ١٠ : ٣)، وطالبن معونته ورحمته، التي بها يستطيعون أن يعملوا بجميع وصاياه وأحكامه.

ثم يصلى الكاهن تحليل نصف الليل الخاص بالكهنة. والكاهن كاشف عن الخليقة كلها، يطلب الحل والبركة والغفران من الله، قائلاً (حاللنا وحاللهم باركنا وباركهم اغفر خطايانا وخطاياهم....) بعد اعتراف بني إسرائيل بخطاياهم وتجديد العهد مع الله، صلى عنهم عزرا الكاهن، كاشف عن بني إسرائيل أمام الله، يطلب لهم والبركة والغفران (عزرا ١٠).

بعد ذلك يبدأ الكاهن في صلاة مزامير باكر كحياة جديدة مملوءة بالتسبيح والتمجيد لله، بعد تجديد العهد، وتطهير النفس من خطاياها. لذلك يصلى الجميع قائلين " فلنبدأ بدءاً حسناً، الليل عبر، نشكرك "

ثانياً: رفع بخور باكر

(١) بزوغ أشعة ضئيلة من النور

مع انتهاء تسبحة نصف الليل وبداية رفع بخور باكر، نلاحظ انحلال الظلام الدامس، وبزوغ أشعة ضئيلة من النور. فالطبيعة أيضاً تشاركنا فرحنا، بانقشاع غمام الخطيئة القاتم، واقتراب موعد ظهور السيد المسيح، نور العالم (يو ٨: ١٢)، (يو ٩: ٥).

(٢) الصلاة خارج الهيكل

يُلاحظ أن الكاهن يصلي رفع بخور باكر، وهو واقف خارج باب الهيكل، إشارة إلى استمرار وجود الإنسان في مذلة خارج الفردوس منذ أن طُرد منها. فهو يقف خارجاً يصرخ إلى الله، طالباً مراحمه حتى يسمح له بالدخول والتمتع بالوجود في حضرته الإلهية.

(٣) تقريم الشكر لله

يمسك الكاهن الصليب بيده اليمنى، ويفتح ستر الهيكل، ويسجد لله أمام باب الهيكل، ثم يبدأ في صلاة الشكر.

فالكاهن لا يمكنه فتح ستر الهيكل بدون الصليب، لأن الهيكل يشير إلى السماء، كما نقول في قطع الساعة الثالثة " إذا

{ ٨٠ }

ما وقفنا في هيكلك المقدس، نحسب كالقيام في السماء"، ويمثل ستر الهيكل باب السماء، وكل باب له مفتاح، وباب السماء مفتاحه الصليب.

وتشير صلاة الشكر التي يصليها الكاهن في رفع بخور باكر، بالشكر إلى الله، الذي قدمه الراجعون من السبي من بني إسرائيل. فهم يقدمون الشكر لله على عنايته بهم أثناء وجودهم في السبي، ومحبتهم لهم وعنايته بهم، بردهم مرة أخرى إلى أورشليم، ووقوفه معهم ومساندتهم عند بناء الهيكل، وترميم وبناء أسوار أورشليم المنهدمة.

(٤) الصلاة عن خطايا شعب بني إسرائيل

بعد أن ينتهي الكاهن من صلاة الشكر، يسجد أمام باب الهيكل، ويدخل برجله اليمنى ويُقبّل المذبح ويضع خمس أيادي بخور في الجحرة، ثم يأخذها ويبخر بها فوق المذبح، وهو يقول سر بخور باكر. ثم يعمل الدورة حول المذبح، ويخرج من باب الهيكل، ويعمل الصليب بالتبخير في الاتجاهات الأربعة، وهو يقول سرّاً الصلاة الخاصة بكل اتجاه.

وبعد انتهاء الشماسة من أرباع الناقوس، يصلى في الأيام العادية، ماعدا السبت والأحد والأعياد السيدية، أوشية المرضى والمسافرين. أما في باكر يوم السبت فيصلى أوشية الراقدين، وفي

{ ٨١ }

باكر يوم الأحد والأعياد السيديّة، يصلّي أوّشية المرضي والقرايين.

(أ) أوّشية المرضي التي يصلّيها الكاهن من أجل مرضي شعبه، تشير إلى عزرا الكاهن، الذي كان يصلّي من أجل شعبه المريض بالخطية، فمنهم من زنى والتصق بعبادة الأوثان، ومنهم من أخذ نساء أجنبيّات (نح ١٣ : ٢٣ - ٢٧)، (عز ١٠ : ١١ - ١٧).

(ب) أوّشية المسافرين التي يصلّيها الكاهن من أجل المسافرين في شعبه، وهي تشير إلى شعب بني إسرائيل، الذين يسافرون ويتاجرون يوم السبت، فكانوا بذلك يدنسون يوم السبت. فصلّي من أجلهم عزرا الكاهن، وأغلق أبواب أورشليم يوم السبت، وطرد الذين كانوا يقفون خارج الأبواب ويتاجرون ببضائعهم (نح ١٣ : ١٥ - ٢٢).

(ج) أوّشية الراقدين يصلّيها الكاهن من أجل الذين رقدوا في شعبه، وهي تشير إلى الذين ارتبطوا بأجنبيّات واتخذوهن زوجات لهم، وخاصة الكهنة منهم. فصلّي من أجلهم عزرا الكاهن، ومنع كل من ارتبط بأجنبيّة من الانضمام لشعب الله إلا بعد تركه زوجته الأجنبيّة (نح ١٣ : ٢٨ - ٣١).

(د) أوّشية القرايين يصلّيها الكاهن من أجل الشعب الذي قدم قرايين وندور وعطايا، فالكاهن يشير إلى ما فعله نحميا، نتيجة لما عمله إلياشيب الكاهن المقام على مخدع بيت الرب، إذ امتنع عن إعطاء أنصبة اللاويين، فأدى ذلك إلى هرب اللاويين والمغنين (نح ١٣ : ٤ - ١٤). فكان نحميا يحث الشعب على تقديم العطايا المفروضة من الشعب لللاويين.

(هـ) طلب الرحمة والغفرة (إندوتي ناي نان)

يمسك الكاهن الصليب بيده اليمنى، وعليه ثلاث شمعات مضاءة، ويقف أمام باب الهيكل، ويسط يديه وهو يصرخ قائلاً (اللهم ارحمنا ...).

والكاهن وهو يصلّي (إندوتي ناي نان) يشبه عزرا الكاهن والكاتب (عز ٧)، (نح ٨ : ٩). فعندما سمع باختلاط شعب بني إسرائيل والكهنة واللاويين بشعوب الأرض، وفعّلوا حسب رجاساتهم، واتخذوا من بناهم لأنفسهم ولبنيتهم، واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض (عز ٩ : ١ ، ٢)، يقول عنه الكتاب " فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ، مَزَّقْتُ ثِيَابِي وَرَدَّائِي وَنَثَقْتُ شَعْرَ رَأْسِي وَذَقَّنِي، وَجَلَسْتُ مُتَحَيِّرًا، فَاجْتَمَعَ إِلَيَّ كُلُّ مَنْ ارْتَعَدَ مِنْ كَلَامِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ أَجْلِ خِيَانَةِ الْمَسْبِيِّينَ، وَأَنَا جَلَسْتُ مُتَحَيِّرًا

إِلَى تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ " (عز ٩: ٣، ٤)، " وَعِنْدَ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ قُمْتُ مِنْ تَذَلُّلِي، وَفِي ثِيَابِي وَرِدَائِي الْمُمَزَّقَةِ جَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّْ وَبَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِي " (عز ٩: ٥). ثم صلى عزرا بتذلل، يستمطر مراحم الله، حتى يتراءف على شعب بني إسرائيل قائلاً " اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْجَلُ وَأَخْزَى مِنْ أَنْ أَرْفَعَ يَا إِلَهِي وَجْهِي نَحْوَكَ لِأَنَّ ذُنُوبَنَا قَدْ كَثُرَتْ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَأَتَّامَنَا تَعَاظَمْتَ إِلَى السَّمَاءِ " (عز ٩: ٦ - ١٥).

(٦) (العمل حسب الشريعة) (أوشية للإنجيل)

بعد إفتوتى ناي نان، يرشم الكاهن الشعب بالصليب وعليه الثلاث شمعات قائلاً (إشليل، إيريني باسى) ثم يضع يد بخور في الجمرة ويأخذها ويقف بها أمام باب الهيكل، ويصلى أوشية الإنجيل [أيها السيد الرب... فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة].

وما يصليه الكاهن في أوشية الإنجيل يشبه ما فعله عزرا الكاهن، عندما صلى من أجل الشعب فيقول سفر عزرا " فَقَامَ عَزْرًا وَاسْتَحَلَفَ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَاللَّاوِيِّينَ، وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا حَسَبَ هَذَا الْأَمْرِ (حسب الشريعة) " (عز ١٠: ٥).

وساعد شكنيا الكاهن عزرا، على إصلاح حال إسرائيل، قائلاً له " وَلَكِنْ الْآنَ يُوجَدُ رَجَاءٌ لِإِسْرَائِيلَ فِي هَذَا.

{ ٨٤ }

فَلنَقْطَعِ الْآنَ عَهْدًا مَعَ إِيهِنَا، أَنْ نُخْرِجَ كُلَّ النِّسَاءِ وَالَّذِينَ وُلِدُوا مِنْهُنَّ، حَسَبَ مَشُورَةِ سَيِّدِي وَالَّذِينَ يَخْشُونَ وَصِيَّةَ إِيهِنَا، وَلْيَعْمَلْ حَسَبَ الشَّرِيعَةِ " (عز ١٠: ٢ - ٤).

ونفس العمل الذي تم ذكره في سفر عزرا، ذكر أيضاً في سفر نحemia فيقول الكتاب " اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِلَى السَّاحَةِ وَقَالُوا لِعَزْرَا الْكَاتِبِ، أَنْ يَأْتِيَ بِسَفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى، الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ، إِسْرَائِيلَ فَأَتَى عَزْرَا الْكَاتِبُ بِالشَّرِيعَةِ، أَمَامَ الْجَمَاعَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَكُلِّ فَاهِمٍ مَا يُسْمَعُ، وَقَرَأَ فِيهَا أَمَامَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْفَاهِمِينَ. وَكَانَتْ آذَانُ كُلِّ الشَّعْبِ، نَحْوَ سَفْرِ الشَّرِيعَةِ. وَوَقَفَ عَزْرَا الْكَاتِبُ عَلَى مَنْبَرِ الْخَشَبِ الَّذِي عَمَلُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَفَتَحَ عَزْرَا السَّفْرَ أَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ وَعِنْدَمَا فَتَحَهُ وَقَفَ كُلُّ الشَّعْبِ، وَبَارَكَ عَزْرَا الرَّبَّ إِلَهَ الْعَظِيمِ. وَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ آمِينَ، رَافِعِينَ أَيْدِيَهُمْ، وَخَرُّوا وَسَجَدُوا لِلرَّبِّ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ... وَاللَّاوِيُّونَ أَفْهَمُوا الشَّعْبَ الشَّرِيعَةَ، وَالشَّعْبُ فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَقَرَأُوا فِي السَّفْرِ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ بَيَّانًا، وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى وَأَفْهَمُوهُمْ الْقِرَاءَةَ " (نح ٨: ١ - ٨).

{ ٨٥ }

(٧) (الاعتراف بالخطايا) (قراءة التحليل)

يصلى الكاهن الأواشى الخمسة الصغار بعد الانتهاء من قراءة الإنجيل. ثم يقرأ التحليل على الشعب.

ودائماً ما يسبق قراءة التحليل، الاعتراف بالخطايا. وهذا ما حدث بالفعل مع بني إسرائيل، إذ يقول سفر نحemia عن ذلك "..... اجتمع بنو إسرائيل بالصوم، وعليهم مسوح وثراب، وأنفصل نسل إسرائيل من جميع بني الغرباء، ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم" (نح ٩: ١، ٢). وقد ظهر صدق توبتهم، إذ اجتمعوا معاً وصاموا، وتذلوا ولبسوا المسوح، ووضعوا التراب عليهم. بعد ذلك أخذوا خطوة إيجابية ضرورية جداً لكل تائب، إذ أنهم قد انفصلوا عن بني الغرباء وابتعدوا عنهم، ثم بعد ذلك اعترفوا بخطاياهم وذنوبهم.

عندما يقدم الشخص توبة صادقة حقيقية، ويذهب ليعترف بخطاياها أمام الكاهن. في نهاية الاعتراف يصل الكاهن التحليل على رأس المعترف، كعقد أو ميثاق من الله لغفران خطايا التائب، ووعد من المعترف بعدم الرجوع إلى خطاياها السابقة مرة أخرى، والسلوك حسب وصايا الله. ويتم الميثاق بين الله والإنسان بواسطة الكاهن، وهذا ينطبق تماماً مع ما حدث لبني إسرائيل، في حضرة الكهنة واللاويين، فيقول الكتاب "ومن

أجل كل ذلك نحن نقطع ميثاقاً ونكتبه. ورؤسائنا ولاويوننا وكهنتنا يخطمون" (نح ٩: ٣٨). ويقول أيضاً "وباقى الشعب والكهنة واللاويين والبوابين والمعلمين والتثمين (المكرسين)، وكل الذين انفصلوا من شعوب الأراضى إلى شريعة الله..... ودخلوا في قسم وحلف أن يسيروا في شريعة الله التي أعطيت عن يد موسى عبد الله وأن يحفظوا ويعملوا جميع وصايا الرب سيدنا وأحكامه وفرائضه" (نح ١٠: ٢٨، ٢٩).

(٨) وضوح النبوات باقتراب (الشروق)

قبل أن ينتهي الكاهن من رفع بخور باكر، تتلاشى ظلمة الليل، ويستنير الجو بنور النهار، ويقترّب ظهور الشمس، حيث ترسل أشعتها الصفراء الجميلة، لتعلن عن اقتراب إشراقها.

فقبل أن يشرق شمس البر إلى أرضنا، تزايدت النبوات وكثرت، وخاصة في سفر زكريا النبي وسفر ملاخى النبي اللذين تنبأ عن ميلاده وصلبه وآلامه وقيامته فيقول سفر ملاخى "ولكم أيها المتقون اسمي، تُشرقُ شمسُ البرِّ، والشِّفاءُ في أجنتِها... (ملا ٤: ٢).

ويقول أيضاً "هئنداً أرسلُ إليكمُ إيليا النبي، قبلَ مجيء يومِ الربِّ اليومِ العظيمِ والمخوفِ، فيردُّ قلبَ الآباءِ على الأبناءِ

الباب الثالث

تقديم الحمل وقداس الموغوظيين

أولاً: تقديم الحمل

- (١) ثياب البر
- (٢) الإعراب والاستقبال للحمل
- (٣) ميلاد عمل الله
- (٤) عمار السير المسيح
- (٥) لحن ألقى القريان
- (٦) إعلانات عن ظهور ابن الله
- (٧) فترة خرمته القصيرة
- (٨) واخل القبر ونواج الشريعات

ثانياً: قداس الموغوظيين

- (١) كرازة بولس الرسول للأمم
- (٢) كرازة الرسل
- (٣) ظهور مجر المسيح وعمله الهى فى الكرازة
- (٤) الصلاة من أجل الكنيسة (الأواشى الكبار)
- (٥) المؤهلون للدخول إلى عشاء عرس الخروف
- (٦) تحزير للراخلين إلى حفل العشاء (غسل اليرين)
- (٧) تثبيت وتأخير السلام بين الراخلين إلى حفل العشاء (صلاة الصلح)

وَقَلْبَ الْأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ ... " (ملا ٤ : ٥ ، ٦) . وما يشير إليه ملاحى النبي عن إيليا، الذي يسبق مجيء يوم الرب، فهو يقصد به يوحنا المعمدان الذي " يَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الْآبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فَكْرِ الْأَبْرَارِ، لِكَيْ يَهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا " (لو ١ : ١٧) . ويسبق مجيء السيد المسيح، ويكرز بالتوبة لجميع الشعب، قائلاً لهم " توبوا لأنه قد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ " (مت ٣ : ٢) .



الباب الثالث

تقديم الحمل وقُداس الموعوظين

تقديم الحمل وقُداس الموعوظين، هي المرحلة الثالثة والأخيرة في كنيسة المسيح، بدأت هذه المرحلة بظهور السيد المسيح بالجسد وستبقى إلى نهاية العالم إلى الجيء الثاني للسيد المسيح للدينونة. وقد تأسست الكنيسة في هذه المرحلة يوم الخمسين بعد قيامة المخلص إذ حل الروح القدس على التلاميذ خرجوا يكرزون في العالم أجمع (مر ١٦: ١٥). وتسير الكنيسة في هذه المرحلة بموجب شريعة الإنجيل ويُسمى عهد النعمة (لو ١: ١٧)، وعهد الرحمة والكمال (عب ٧: ١١).

وهذه المرحلة يرتبط فيها طقس تقديم الحمل، بحياة المسيح على الأرض، بدءاً من ميلاده وعماده، ثم قبره وقيامته المقدسة. أما في قداس الموعوظين فيرتبط الطقس، فيها بالكراسة بالإنجيل في كل العالم، بعد صعود السيد المسيح.

أولاً: تقديم الحمل

(١) ثياب البر

بعد الانتهاء من رفع بخور باكر، يرتدى الكاهن والشمامسة ملابس الخدمة البيضاء، بعد رشمها بالثلاثة رشومات المعروفة.

{ ٩٠ }

وهي تشير إلى بر المسيح، الذي التحف به الكاهن إذ أنه في كل مرة يدخل فيها الكاهن لخدمة الرب، يلقي عنه ضعفاته أي يخلع الإنسان العتيق ويلبس حُلة الله البهية الطاهرة، محتفياً في المسيح. فبر المسيح هو الذي جعله مستحقاً أن يدخل الهيكل، ويقدم الأسرار المقدسة، فقبل ذلك في رفع بخور عشية وباكر لم يكن في إمكانه الدخول إلى قدس الأقداس إذ يقف خارج الهيكل بسبب عدم استحقاقه.

(٢) (للإعداد والاستقبال للحمل)

بعد أن ينتهي الكاهن من ارتداء ملابس الخدمة البيضاء، يبدأ في فرش المذبح وإعداده لاستقبال السيد المسيح.

أثناء رشم ملابس الخدمة وفرش المذبح يرتل الشمامسة لحن البركة. وهو يُعتبر بمثابة تنبيه للشعب لاستقبال حمل الله الذي يحمل خطايا العالم كله (يو ١: ٢٩). فكما تسبق الموسيقى دخول الرجال العظماء، هكذا فإن مجيء السيد المسيح تسبقه أنغام هذا اللحن الجميل، وكأنه مارش عسكري، تتحرك على نعماته صفوف الملائكة، ساجدة ومُسَبَّحة للحمل. وهذا ما حدث عند ميلاد السيد المسيح " وَظَهَرَ بَعْتَةً مَعَ الْمَلَائِكَةِ جُمُهورٌ مِنْ الْجُنُودِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَاتِلِينَ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ " (لو ٢: ١٣، ١٤).

{ ٩١ }

(٢) ميلاد عمل الله

بعد الانتهاء من صلاة المزامير، يُقدّم طبق الحمل أمام باب الهيكل ليحمله صاحب أكبر رتبة كهنوتية موجودة، من الذين يخدمون في هذا اليوم باستثناء الأب الخديم. ويكون موضوعاً في طبق الحمل، عدد فردي من القربان ٣ أو ٥ أو ٧... يختار منها الكاهن قربانة لتكون حملاً. ويلاحظ أن القربانة التي أُختيرت لتكون حملاً كانت مماثلة لباقي القربان الموضوع في طبق الحمل وهذا يشير إلى السيد المسيح الذي كان مشابهاً لإخوته في كل شيء ما خلا الخطية وحدها (عب ٤ : ١٥)، فهو أخذ جسداً كاملاً مثلنا، متحداً مع لاهوته بغير افتراق ولا امتزاج ولا تغيير، ليخلص به البشرية.

كما يُلاحظ أن الكاهن بعد اختياره للحمل، يأخذ باقى القربانات الموضوعة في طبق الحمل، ويقلبها ويلامسها بالقربانة المختارة حملاً، وهذا الطقس يشير إلى ذبائح العهد القديم، التي أشارت لذبيحة المسيح وتلامست معها، ثم إن طقس تقديم الحمل يشير إلى ميلاد السيد المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم كله (يو ١ : ٢٩)، وبُشرى الملاك للرعاة بميلاد المسيح حيث قال لهم " أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ " (لو ٢ : ١١).

وبعد انتهاء لحن (تين أو أوشت)، وتقديم السجود اللائق للثالوث الأقدس، يرتل الشمامسة لحن (شيرى ماريا) .. وفيه يعطى الشعب السلام للعدراء مريم والدة الإله التي منها تجسد كلمة الله الآب، لأجل خلاص البشرية.

واستكمالاً لاستقبال الحمل كلمة الله، يبدأ الكاهن والشعب في صلاة المزامير، كتعبير عن الفرح والتهليل الذي شمل البشرية كلها عند استقبالها حمل الله، ومشاركتها للجد السماوي، في تسبيحهم له.

فمع طول فترة ترقب وانتظار تجسد الله الكلمة، التي انتظرها البشرية ٥٥٠٠ سنة، كان الفرح والتسبيح الذي شمل البشرية كبيراً جداً.

ويصلى الكاهن مزامير الثالثة والسادسة، في الأيام العادية التي لا يوجد بها أصوام، أما في أيام الأربعاء والجمعة وكذا صوم الميلاد والرسل والعدراء فيصلى فيها مزامير الثالثة والسادسة والتاسعة، أما في صوم نينوى والصوم الكبير وبرمون الميلاد والغطاس، فيصلى من مزامير الساعة الثالثة حتى مزامير النوم وفي الأديرة حتى الستار.

بعد اختيار قربانة الحمل، يدخل بها الكاهن إلى المذبح، ويبل أطراف أصابعه بالماء ويمسح بها القربانة، ثم يضع يده عليها ويسكب نفسه في صلاة عميقة، ناقلاً خطاياہ وخطايا شعبه على الحمل كما يصلى من أجل المرضى والمسافرين والراقدين والمتضايقين

مسح الكاهن قربانة الحمل بالماء من كل ناحية، إشارة إلى عماد السيد المسيح من يوحنا المعمدان " حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليُعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي! فقال يسوع له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نُكمل كل بر. حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعِد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السماوات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " (مت ٣ : ١٣ - ١٧) .

يضع الكاهن يده على الحمل ويصلى من أجل شعبه ومن أجل نفسه إشارة إلى نقل الهموم والمشاكل والضيقات والخطايا على السيد المسيح ليحملها عوضاً عن شعبه، لأنه حمل الله الذي جاء ليحمل خطايا العالم كله (يو ١ : ٢٩) .

بعد عماد قربانة الحمل، ينسكب الكاهن على قربانة الحمل ويده موضوعة عليها، في صلاة عميقة ناقلاً خطاياہ وخطايا شعبه على الحمل. وفي هذه الأثناء يرتل الشعب لحن " ألقى القربان "، وهو لحن رائع وجميل يُعبّر تعبيراً صادقاً عن آفات البشرية التي تثقلت بالخطية، واشتياقات الأنبياء التي انتظرت ملء الزمان الذي سيأتي فيه المخلص، ليحمل خطايا العالم ويخلص البشرية من الموت.

وهذا اللحن مقسم إلى ثماني مقاطع، كل واحد منها يحكى عن تاريخ البشرية الساقطة، ونبوات الأنبياء التي تنبأت عن المخلص.

ففي **المقطع الأول** من اللحن، تُعبّر هزاته عن الحزن الشديد الذي شمل الجنس البشرى نتيجة للسقوط في الخطية، وكأن البشرية المثلة في أبينا آدم تبكي في حسرة، على فقدتها التمتع بالوجود في الحضرة الإلهية وحياة التسبيح وتمجيد الله. كما نجد أن هذا المقطع، لا يتخلله أي هزات معبرة عن الرجاء أو الوعد بالخلاص. وكأن هذه الهزات خرجت من البشرية، فور صدور حكم الموت من الله عليها.

وفي **المقطع الثاني والثالث** من اللحن، وهما مقطعان هزاتهما متشابهة. تُعبر الهزات في هذان المقطعان عن الحزن الشديد، مع الرجاء في الوعد بالخلاص. ولعل الحزن ينتج من طول انتظار تحقيق هذا الوعد. كما نجد الهزات في نهاية المقطع الثاني والثالث، يتخللها فرح بالرجاء الذي تنتظره البشرية.

وفي **المقطع الرابع** من اللحن، نجد أن الهزات المعبرة عن الحزن الشديد والمملوء أنين قلت عما كان في المجموعات الثلاث السابقة ونجد أن نهاية المقطع الرابع، هي نفس النهاية في المقطع الثاني والثالث المملوء فرح بالرجاء المنتظر.

وفي **المقطع الخامس** من اللحن، نجد أن الهزات بدأت بالحسرة كما في بداية المقطع الثاني والثالث والرابع، ولكنها بعد ذلك شملها قوة الرجاء بالخلاص المنتظر. بعدها شعرت البشرية بهدوء وسلام ظهر في هزات قليلة | ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ | يعقبه بعد ذلك فرح بالخلاص المنتظر، وهو ما تعبر عنه الهزات في نهاية المقطع الخامس، وهي متشابهة مع نهاية المقاطع السابقة لها، أي المقطع الثاني والثالث والرابع.

وفي **المقطع السادس** من اللحن، نجد الهزات في بداية المقطع، تختلف عن بداية الهزات في المقاطع السابقة، التي كانت تعبر عن الأنين والحسرة، فهي هزات تُعبر عن الهدوء والفرح، إذ قد شمل

البشرية هدوء بعد تعدد نبوات الأنبياء عن المخلص، وشملها الفرح والتسبيح لاقترب موعد مجيئه، وهذا ما نلاحظه في بداية هزات هذا المقطع، إنها مشابهة لهزات لحن " هوس إيروف " الذي يقال في الهوس الثالث من التسبحة، ونلاحظ أن باقي نغمات هذا المقطع، تعبر عن الفرح بالخلاص المنتظر.

وفي **المقطع السابع** من اللحن، نجد صحيحة الهتاف والفرح ارتفعت، كلما اقترب موعد مجيء المخلص، وشملت الهزات ثقة قوية ويقين بنبوات الأنبياء المتكررة والمؤكد على مجيء المخلص. بل نجد قصر هزات هذا المقطع، كإشارة لاقترب موعد مجيئه.

وفي **المقطع الثامن** من اللحن، نجد الهزات في بداية المقطع، مشابهة لمجموعة من الهزات في لحن " الليلويا التوزيع الكيهكي "، وكأن الهزات تنطق معبرة بوضوح، عن اقتراب ميلاد السيد المسيح، الذي انتظرته البشرية ليخلصها من ثقل خطاياها. فكما أنه في نهاية شهر كيهك، يكون ميلاد السيد المسيح هكذا الهزات في بداية المقطع كبداية شهر كيهك، وفي نهاية الهزات في المقطع كنهاية شهر كيهك، يكون المسيح قد وُلد.

ونلاحظ أن الهزات في نهاية المقطع الثامن مشابهة لنغمة كلمة "إثريون" في لحن (تين) الذي يُقال أيضاً في شهر كيهك.

وهي هزات عالية جداً وكأن البشرية تنظر على بُعد خطوات قليلة جداً، مجيء السيد المسيح. فلا تستطيع أن تعبر عن فرحتها إلا بهذه الهزات، وهي في فرحها أيضاً تنبه من حولها من البشر المترقبين مجيء السيد المسيح. بل إنها لم تتمكن من استكمال تنيبها للمنتظرين الخلاص، إلا وتجد المسيح قد وُلد.

لذا يمكن أن يُسمى المقطع الثامن، بالمقطع الكيهكى أو بالشهر الكيهكى.

(٦) إعلانات عن ظهور ابن الله

ترى البشرية ميلاد وظهور مخلصها، من خلال ثلاثة إعلانات.

(أ) ظهور العريس:

أثناء عماد الكاهن قربانة الحمل، يعلن أنها حمل الله وابن الله، وهي العريس الذي له العروس (الكنيسة). فقد أعلن يوحنا المعمدان وقت عماد السيد المسيح للجموع، قائلاً "إني قد رأيتُ الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقرَّ عليه، وأنا لم أكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومُستقرّاً عليه، فهذا هو الذي يُعمد بالروح

{ ٩٨ }

القدس وأنا قد رأيتُ وشهدتُ، أن هذا هو ابن الله" (يو ١: ٣٢ - ٣٤).

ويشهد أيضاً يوحنا المعمدان عن السيد المسيح أنه حمل الله، "وفي العَد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو وأثنان من تلاميذه فنظروا إلى يسوع ماشياً فقال: هوذا حمل الله" (يو ١: ٣٥، ٣٦).

وشهد أيضاً يوحنا على أن السيد المسيح هو العريس وكان ذلك عندما قال "وحدثتُ مباحثةً من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له: يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يُعمدُ والجميع يأتون إليه. فقال يوحنا: لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السماء أنتم أنفسكم تشهدون لي أنني قلتُ: لستُ أنا المسيح بل إني مرسلُ أمامه من له العروس فهو العريسُ وأما صديقُ العريس الذي يقفُ ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوتِ العريس. إذا فرحني هذا قد كمل" (يو ٣: ٢٥ - ٢٩).

(ب) ظهور مجده للعالم

بعد أن يعمد الكاهن قربانة الحمل، ويصلى التذكارات يلف قربانة الحمل في لفافة، ثم يضع الصليب مائلاً قليلاً على القربانة الملفوفة، ثم يرفع الحمل على رأسه، ويقف على باب الهيكل،

{ ٩٩ }

ويقول (مجداً وإكراماً ... إلخ) حتى نهايتها، ثم بعد ذلك يدور حول المذبح، وعندما يكمل الدورة يرشم الشعب بالحمل والصليب الموجدان بيده بعلامة الصليب، ثم يقف على شمال المذبح.

ويلاحظ أن الكاهن يصلى (مجداً وإكراماً ...) بعد انتهاء الشعب من ترتيل لحن (ألى القربان)، وكأنه يعلن للشعب ظهور مجد المخلص، الذي انتظرته البشرية ليخلصها من خطاياها. وعندما يدور حول المذبح بالحمل الموضوع فوق رأسه، وكأنه يعلن هذا المجد للعالم كله وهنا يتجاوب الشعب مع الكاهن فيرد عليه بلحن { الليلويا فاي بي بي } (الليلويا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه يارب خلصنا يارب سهل سبلنا مبارك الآتى باسم الرب، الليلويا).

ويعطى الكاهن المجد والإكرام للثالوث الأقدس، الآب والابن والروح القدس، لأن الثالوث الأقدس ظهر وقت عماد السيد المسيح، فسمع صوت الآب من السماء قائلاً " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " (مت ٣ : ١٧)، " وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه " (مت ٣ : ١٦) وكان الابن يعتمد في نهر الأردن.

ونجد أيضاً بعد أن يعطى الكاهن الرشومات الثلاثة، ليبارك قربانة الحمل وقارورة الأباركة، يجاوبه الشعب من الخارج بلحن (ذو كصابتري) معطين (المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين) اعترافاً منهم أن كل ما هو للآب من مجد، هو للابن وللروح القدس أيضاً لأن الثلاثة أقانيم هم الله الواحد.

(ج) ظهور شمس البر

غالباً ما يتوافق التوقيت الذي فيه يعمد الكاهن قربانة الحمل ثم يضعها على رأسه، قائلاً (مجداً وإكراماً ...) مع التوقيت الزمني لشروق الشمس، حيث ترسل أشعتها في كل مكان، وهي أيضاً تعلن عن شروق وظهور شمس البر الحقيقي، الذي يرسل أشعته الخلاصية لكل العالم، كما قال عنه سمعان الشيخ " نُورَ إِعْلَانٍ لِلأُمَمِ وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ " (لو ٢ : ٣٢). وكما تنبأ عنه زكريا الكاهن قائلاً " بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدْنَا الْمُشْرِقُ مِنَ الْعَلَاءِ لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ ... " (لو ١ : ٧٨، ٧٩)، وتنبأ أيضاً ملاخي النبي قائلاً " وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبَرِّ وَالشَّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا " (ملا ٤ : ٢).

(٧) فترة خرمته القصيرة

بعد أن ينتهي الكاهن من رفع الحمل فوق رأسه قائلاً (مجداً وإكراماً ...) يدور حول المذبح، ثم يبارك الشعب بالحمل، ويقف عن يسار المذبح. وهذه الدورة حول المذبح تشير أيضاً إلى فترة خدمة السيد المسيح على الأرض التي لم تستمر سوى ثلاث سنين ونصف تقريباً.

(٨) (دخل القبر ونواح المريمات)

بعد ذلك يرشم الكاهن الحمل وقارورة الأباركة، بالثلاثة رشومات المعروفة، ثم يضع قربانة الحمل في الصينية، ويكشف الكأس، ثم يأخذ قارورة الأباركة من الشماس، ويصبها في الكأس على مثال الصليب.

فحينما يضع الكاهن قربانة الحمل في الصينية، يشير ذلك إلى وضع السيد المسيح في القبر (مت ٢٧ : ٥٩)، وعندما يصب قارورة الخمر في الكأس، إشارة إلى سفك دم المسيح على عود الصليب، لأجل خلاص العالم. وفي أثناء ذلك يصلي الكاهن صلاة الشكر. وهو يقدم الشكر لله، نيابة عن البشرية كلها، اعترافاً منه على محبته للبشر، بتجسده وفدائه لأجل خلاصنا.

بعد الانتهاء من صلاة الشكر، يأخذ الكاهن الإبروسفارين، ويغطي به الحمل والكأس ثم يضع لفافة على شكل مثلث فوق الإبروسفارين كالحتم الذي وُضع فوق قبر المخلص ويدور حول المذبح ويخرج خارج الهيكل، ويصلي تحليل الخدام.

وتغطية الحمل والدم بالإبروسفارين، إشارة إلى الحجر الذي دُحرج على فم القبر بعد دفن السيد المسيح. أما اللفافة المثلثة الموضوعية فوق الإبروسفارين، فهي تشير إلى الختم الذي خُتم به القبر بعد دحرجة الحجر عليه (مت ٢٧ : ٦٠ - ٦٦).

ويلاحظ أنه في الوقت الذي يُغطى فيه الكاهن الحمل بالإبروسفارين ويضع الختم عليه، يرتل الشماسة في الخارج لحن " سوتيس آمين "، ويسمى هذا اللحن في الكنيسة (لحن نواح المريمات). فنغمات هزاته تماثل صوت نواح المريمات، اللاتي كن واقفات يبكين خارج القبر، بعد دفن السيد المسيح (يو ٢٠ : ١١).



ثانياً: قداس الموعوظين

هذه التسمية - ليتورجيا الموعوظين - تُطلق على الموعوظين، لأنه يُسمح لهم أن يشاركوا المؤمنين في هذه الصلوات. وهي تمثل الجزء التعليمي في القداس الإلهي، ويبدأ قداس الموعوظين من دورة بخور البولس، حتى نهاية الثلاث أواشى الكبار. ويقول العلامة أوريجينوس " إنه في قداس الموعوظين، تخطب النفس للرب يسوع، وفي قداس المؤمنين تدخل النفس معه في رباط الزوجية " وهذا الجزء يشبه مرحلة الخطوبة، أي التعرف على الرب ويُلاحظ فيه أن القراءات، أي كلمة الله، تعمل في الموعوظين لتعدهم لنوال نعمة العماد وروح التبتى، كما تعمل في المؤمنين لنوال جسد الرب ودمه.

(١) كرازة بولس الرسول للأمم

بعد أن ينتهي الكاهن من تحليل الخدام، يدخل الهيكل ويضع خمس أيادي بخور في الجمرة ثم يأخذها ويخر بها فوق المذبح وهو يقول سر البولس، ثم يعمل الدورة حول المذبح، ويخرج من الهيكل، ليستكمل دورة البولس في صحن الكنيسة، مبتدئاً الدورة من ناحية بحري، وبعد استكمالها في صحن الكنيسة، يدخل الهيكل ويضع يد بخور في الجمرة ويصلى سر الرجعة

بالشورية على المذبح، ثم يدور دورة واحدة حول المذبح ويخرج مرة أخرى ليستكمل باقى الدورة.

يُلاحظ أن دورة البولس بدأت أولاً من جهة اليسار (بحري)، ثم بعد ذلك إلى جهة اليمين (قبلي)، وهذا يشير إلى خدمة بولس الرسول وكرازته، التي بدأت أولاً في الأمم ويشار إليهم جهة اليسار (بحري)، لأنهم كانوا بعيدين عن معرفة الله، ثم اتجه بعد ذلك إلى اليهودية جهة اليمين (قبلي)، حيث شعب الله.

كما يُلاحظ أن دورة البولس، شملت الكنيسة كلها، وذلك إشارة إلى كرازة بولس الرسول الواسعة جداً، والتي شملت العالم كله في ذلك الوقت.

يدخل الكاهن إلى الهيكل مرة أخرى، بعد أن ينتهي من الطواف في كل أرجاء الكنيسة، ويخرج مرة أخرى منه، إشارة إلى رجوع بولس الرسول إلى الرسل في أورشليم (الهيكل)، ثم خروجه مرة أخرى للتبشير.

دورة البولس تشير إلى كبر كنيسة المسيح واتساعها، بعد قبولها للأمم في الإيمان، كأعضاء في جسد المسيح.

يعمل الكاهن دورة الإبركسيس، حسب الطقس المعروف والمدون في الخولاجي. حيث يُلاحظ أن الكاهن يعمل دورة الإبركسيس في الخورس الأول فقط مبتدئاً من اليمين (قبلي) ثم اليسار (بحري)، وهذا يشير إلى كرازة الرسل الأطهار، التي تركزت في أورشليم واليهودية، أكثر من الكرازة للأمم.

كما تبدأ دورة الإبركسيس من اليمين إلى الشمال، لأن الرسل بشروا أولاً اليهود أهل الختان، والذين كانوا شعب الله وأهل اليمين ولكنهم لم يقبلوا الإيمان بالمسيح، فتحوّل الرسل عنهم ليكرزوا في الأمم (الشمال).

وعندما يعمل الكاهن دورة الإبركسيس، يُلاحظ أنه لم يدخل الهيكل مرة أخرى كما في سر البولس، ليصلي سر الرجعة ولكنه يقف خارج باب الهيكل، ويصلي سر الرجعة. وذلك لأن الرسل لم يرجعوا إلى أورشليم مرة أخرى، بعد خروجهم منها للكرازة بل غالبيتهم استشهدوا في مدن الكرازة المختلفة.

دورتا البولس والإبركسيس تشيران إلى دخول اليهود والأمم في الإيمان، في كنيسة المسيح. فكما يقول الكتاب " إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض وتمت لا تأتي بثمار كثيرة " (يو ١٢: ٢٤) فبموت السيد المسيح على الصليب، كثرت الثمار بدخول

شعوب كثيرة من الأمم واليهود إلى الإيمان، كما يقول عن ذلك بولس الرسول " وَلَكِنِ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بَدَمِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ أَيِ الْعَدَاوَةِ. مُبْطِلًا بَجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا، وَيُصَالِحَ الْاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلَامٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ لِأَنَّ لَنَا كَلِمًا قَدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الْآبِ " (أف ٢: ١٣ - ١٨).

بعد قراءة الإبركسيس يُقرأ " السنكسار " وهذه الكلمة هي لفظة يونانية تعني خبر أو سيرة، وهو الكتاب الحاوي لسير الشهداء والقديسين. وهو في الحقيقة تنمة لسفر أعمال الرسل، واستمرار وامتداد لكرازتهم. وهو شهادة بأن الكنيسة ليست عقيمة، بل أم ولود تُنجب قديسين في كل زمان ومكان، يشهدون لعمل الرب في الكنيسة.

(٢) ظهور بحر المسيح وعمله الحي في الكرازة

يرتل الشمامسة والشعب الثلاثة تقديسات وأثناء ذلك يأخذ الكاهن المحمرة ويضع فيها يد بخور ويقف أمام باب الهيكل بيخر

بالمجمره، إلى أن ينتهي الشعب من الترتيل، ثم يصلى أو شية الإنجيل بطقسها المعروف، وبعدها يقرأ الشماس الإنجيل.

وترتيل الثلاثة تقديسات، والتي يرجع أصلها إلى نيقوديموس ويوسف الرامي، اللذين رثما بها للسيد المسيح عند إنزال جسده عن الصليب (يو ١٩ : ٢٨ - ٤٢)، إذ تملكتهما الدهشة إذ كيف يموت ذاك الذي وهب الحياة للموتى؟!.

وهذه التسبحة الجميلة ترتلها الكنيسة بعد الرسائل، وقبل الإنجيل، للدلالة على حضور السيد المسيح وظهوره، وعمله الحي في الكنيسة، عند كرازة الرسل بالإنجيل.

كما يُلاحظ وضع البشارة على المنجلية أثناء قراءة الإنجيل، إشارة إلى ظهور السيد المسيح كمعلم، يعمل في وسط كنيسته، " إِذَا لَيْسَ الْعَارِسُ شَيْئاً وَلَا السَّاقِي بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُنْمِي " (١ كو ٣ : ٧).

أثناء قراءة الإنجيل، يقف الكاهن أمام الإنجيل، وهو يعطى البخور، ويصلى سراً (سر الإنجيل) وهو عبارة عن طلبات من أجل المرضى والمسافرين... إلخ وطلبات الكاهن من السيد المسيح في سر الإنجيل، تدل على ظهور المسيح وحضوره في كنيسته وعمله الحي المستمر فيها فكما كان يشفي المرضى ويُخرج الشياطين، ويعين الضعفاء وقيم الموتى أثناء فترة تجسده

{ ١٠٨ }

على الأرض هكذا مازال حياً يعمل في كنيسته، ومع الكهنة في كرازتهم.

كما أن تصاعد سحب البخور برائحته الذكية، من المجمره في كل أرجاء الكنيسة، إشارة إلى عمل السيد المسيح الحي فيها، على مدى الأجيال، وفي كل مكان على الأرض في كل يوم.

قراءة فصل من الإنجيل بعد قراءة الرسائل، إشارة لاستمرار وامتداد عمل المسيح في كنيسته على مدى الأيام، كوعده لتلاميذه " وَهَذَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ أَيَّامٍ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ " (مت ٢٨ : ٢٠).

(٤) (الصلاة من أجل الكنيسة) (الأوشى الكبار)

بعد قراءة الإنجيل وإلقاء العظة، يدخل الكاهن الهيكل، ويصلى الثلاث أواشى الكبار، وهي السلامة والآباء والاجتماعات.

من الطبيعي أثناء الكرازة بالإنجيل، ودخول بعض الأشخاص إلى الإيمان، وكأعضاء في كنيسة المسيح، أن يحدث بعض الاختلاف وعدم التجانس في البداية، ونتيجة لتسلط بعض العادات الخاطئة، التي أصبحت متأصلة في حياة الأشخاص، أو لعدم إدراك الإيمان الصحيح. ولذلك يصلى الكاهن أو شية

{ ١٠٩ }

السلامة كطلبة ترفعها الكنيسة إلى الله، ملتزمة منه أن يسود السلام أولادها كأعضاء فيها، وينعم على كنيسته بالألفة والاتحاد، وأن يرفع من بنيتها كل تحزب وانشقاق، كذلك يصلى الكاهن من أجل الملوك والوزراء والجنود، لكي تعيش الكنيسة حياة مطمئنة هادئة، في كل تقوى ووقار.

يصلى الكاهن أيضاً من أجل رئيس الكهنة البابا البطريرك، وشركاءه الأساقفة والقمامصة والقسسوس والشمامسة والإكليروس، وكل امتلاء الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. فالبابا والأساقفة والقمامصة.... هم جنود الكنيسة الذين يحافظون على الإيمان سليماً من أي شائبة، ويدافعون عنه ضد المهرطقة الذين يزعمون الكنيسة ويقلقون راحتها بتعاليمهم الفاسدة. كذلك يصلى الكاهن أن يخضع الله أعداءه تحت قدميه. أي يهدي ويرجع المخالفين لإيمان الآباء، ويعودون يخضعون لهم في الإيمان حتى يكون الجميع رعية واحدة لراع واحد، هو يسوع المسيح.

يطلب الكاهن في أوشية الاجتماعات، لكي يبارك الله الاجتماعات الروحية التي يعقدها أولاده، بغير مانع ولا مضايقات، وأن تكون بيوت المؤمنين بيوت صلاة وبيوت طهارة وبيوت بركة ونعمة. كما يطلب من الله، أن يسحق الشيطان

{ ١١٠ }

وكل قواته الشريرة، وأن يبطل حسد الأعداء وشرورهم ومكائدهم التي يدبرونها ضد الكنيسة، مثل ما أبطل قديماً مشورة أختيوفل التي كانت ستضر داود النبي (٢صم ١٥، ١٦، ١٧). وأخيراً يطلب أن يقوم الله وبيارك شعبه، لكي يصنع الكل إرادته الإلهية الصالحة الطوباوية.

(٥) (لوهلدون) للدخول إلى عشاء عرس (الحروف)

بعد الانتهاء من الأواشي، يقف الشماس على باب الهيكل ووجهه إلى الغرب ويقول (إن صوفيا ثيو ابروسخومين) (١) ومعناها أنصتوا بحكمة الله، يارب ارحم يارب ارحم بالحقيقة.

وعند الانتهاء من الأواشي الكبار، ينتهي قداس الموعوظين. فكان الموعوظون يخرجون من الكنيسة، ولثلاثاً يحدث هرجاء ومرجاء، لذلك كان الشماس يلفت نظر المؤمنين الموجودين في الكنيسة، أن ينصتوا للصلوات بحكمة الله، وبعد خروج الموعوظين كانت أبواب الكنيسة تُغلق. ثم يتلو جميع المؤمنين قانون الإيمان، بروح واحدة وقلب واحد، يعلنون فيه عن إيمان الكنيسة، بوحدانية الله وتثليث أقانيمه، والتجسد والخلص الذي أكمله ابن الله بموته على الصليب، وقيامته من بين الأموات

(١) كلمتان يونانيتان، الأولى تعني حكمة الله، والثانية تعني سكوت أو إصغاء، أي بحكمة الله أو تعقل اصغوا.

{ ١١١ }

وصعوده إلى السموات، والروح القدس، والكنيسة المقدسة،
والمعمودية الواحدة لمغفرة الخطايا، والإيمان بحياة الخلود في الدهر
الآتي.

خروج الموعوظين الذين لم يكتمل إيمانهم، ولم يُسمح لهم
بالحضور واستكمال صلوات القديس والتناول، يشير هذا إلى
الذين لم تتوفر فيهم الشروط الواجبة للدخول إلى حفل عشاء
عُرس الخروف. فهناك شرطان ضروريان للدخول إلى عرس
الخروف إلى جانب المعمودية، وهما المحبة والإيمان. ولذلك
وضعت الكنيسة ورتبت أن تُصلى الأواشي الكبار قبل الدخول
إلى قداس المؤمنين، حتى تسود المحبة بين أعضاء الكنيسة، وبالتالي
يسود السلام بينهم. أما الإيمان الصحيح، وهو شرط أساسي
للدخول إلى هذا الحفل، فتُصر الكنيسة أن تسمعه من أولاده
بصوت مرتفع، لتتأكد من إيمانهم وبصوت واحد لتتأكد أيضاً
من محبتهم المتجانسة لبعضهم فهم أعضاء كثيرون ولكن في
جسد واحد.

(٦) تحذير للراخلين إلى حفل العشاء (غسل اليرين)

يغسل الكاهن يديه، أثناء ترديد الشعب قانون الإيمان، ثم
يقف أمام باب الهيكل ووجهه إلى الغرب، ناحية الشعب،
وينفض يديه وهو يقول نجني من الدماء يا الله إلهي (مز ٥٠).

عندما يقف الكاهن أمام باب الهيكل، وينفض يديه نحو
الشعب، تحذيراً لكل من تجرأ ودخل إلى عشاء عُرس الخروف،
ليتناول من الأسرار المقدسة، بدون توبة واستعداد، مثل تحذير
بولس الرسول لأهل كورنثوس، فيما يختص بسر الإفخارستيا،
فقال لهم " إِذَا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرَبَ كَأْسَ الرَّبِّ
بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرَماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ وَلَكِنْ
لِيَمْتَحِنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ
الْكَأْسِ لِأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ
دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ هَذَا فَيَكْفُرُونَ
ضِعْفَاءً وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ (يموتون) " (١ كو ١١:

٢٧ - ٣٠).

(٧) تثبيت وتأخير السلام بين الراخلين إلى حفل العشاء (صلاة الصلح)

يبدأ الكاهن الصلاة قائلاً (إشليل، إيريني باسى). ثم يصلى
صلاة الصلح. وهي تنقسم إلى جزئين. الجزء الأول منها يختص
بصلح الإنسان مع الله، أما الجزء الثاني فيختص بالصلح بين
الإنسان مع أخيه الإنسان.

في الجزء الأول من صلاة الصلح يتذكر الإنسان خلقته بغير
فساد، ثم سقوطه بجسد إبليس، وسبب له الموت والبعد عن الله،
ولكن الله خلصنا وصالحنا مع الآب، بالظهور المحيي الذي لربنا

يسوع المسيح، إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح عنا على الصليب، كما يقول بولس الرسول "لأنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَتَقَضَّ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ أَيَّ الْعِدَاوَةِ. مُبْطَلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا ... صَانِعًا سَلَامًا، وَيُصَالِحُ الْاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعِدَاوَةَ بِهِ" (أف ٢: ١٤ - ١٩).

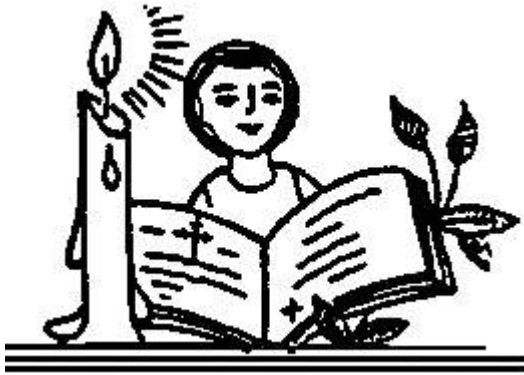
وفي الجزء الأول من صلاة الصلح تظهر محبة الله للبشر، التي دفعته ليسعى إلى الصلح مع الإنسان، لتكون دافعاً للإنسان أن يسعى للصلح مع أخيه الإنسان، كما في الجزء الثاني من صلاة الصلح.

أما في الجزء الثاني من صلاة الصلح، يطلب الكاهن من الله أن يملأ قلوب شعبه بالسلام السمائي، وأن يطهرهم من كل دنس ومن كل غش، ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث، ومن تذكارات الشر الملبس الموت، حتى يستطيع هو وشعبه أن يكملوا حفل عشاء عرس الخروف ويستحقوا التناول من الأسرار المقدسة بغير وقوع في دينونة.

عند انتهاء صلاة الصلح، يُترّل الكاهن اللفافة التي بين يديه، ويضعها على المذبح ناحية اليسار، ويظل الشماس رافعاً الصليب

وهو يقول "قبّلوا بعضكم بعضاً..." "فَيُقَبَّلُ الشَّعْبُ بَعْضُهُ بِقَبْلَةِ الْحَبِيبَةِ.

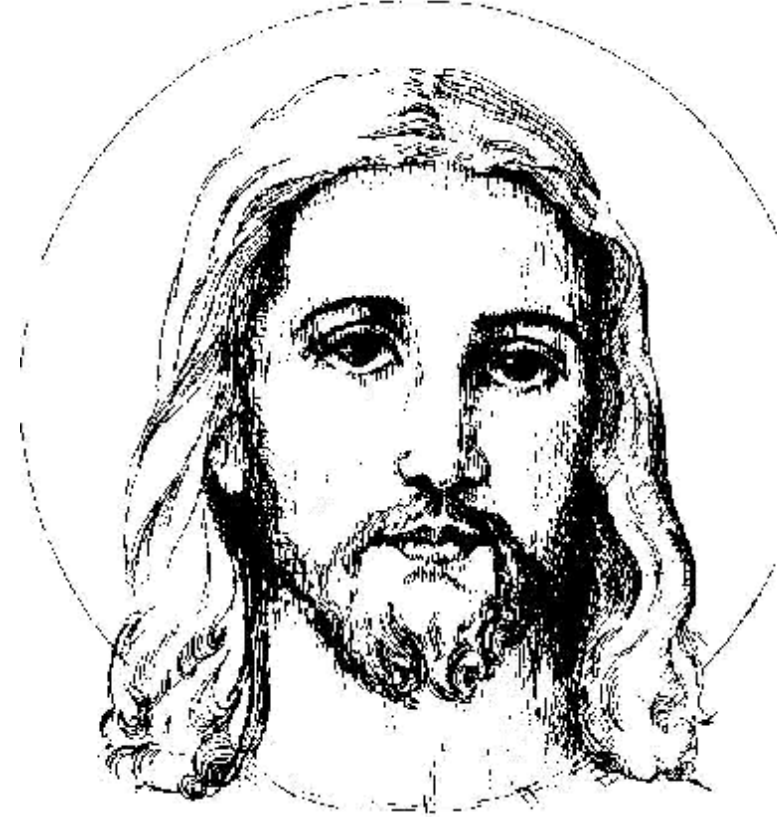
وإنزال اللفافة تُمثل حائط السياج المتوسط أي العداوة، الذي نقضه السيد المسيح بالصليب، وصالحنا مع الله. وهي تشير إلى الصلح الذي تم بين الله والإنسان. أما القبلة بين الشعب، فهي علامة الصلح والسلام بين شعب المسيح وهي التي تؤهّلنا للدخول إلى عشاء عرس الخروف.



الباب الرابع

قداس المؤمنين

- (١) القيامة - وحضور الرب
- (٢) ارتفاع العروس إلى السماء
- (٣) رؤية سجد العريس
- (٤) اعتراف الكنيسة بقراسة عريسها ومحبتة لها
- (٥) العريس يقرم ذاته لعروسه علامة حبه لها
- (٦) ذبيحة المسيح الوحيدة
- (٧) طلبات العروس من الرب قبل التناول وشفاعات القريسين من أجلها
- (٨) طلبات وتشكرات
- (٩) العريس يقسم جسره للكنيسة
- (١٠) شعور العروس بضعفها أمام قراسة عريسها
- (١١) العروس تعلن إيمانها أمام العريس



الباب الرابع

قداس المؤمنين

يبدأ قداس المؤمنين بالأناضورا أي الرفع، ابتداءً من رفع الإبروسفارين، حتى نهاية الخدمة والتسريح. وفي قداس المؤمنين يحضر المسيح كعريس، ويأخذ الكنيسة عروسه، ويدخل بها إلى السماء، حيث توجد في الحضرة الإلهية، ووسط السمائيين. إنها لحظات من الأبدية تحياها الكنيسة وتمتع بها مع عريسها في شركة حقيقية لا يُعبّر عنها ويسمو الارتباط بين السيد المسيح والكنيسة في آخر القداس، حينما تتقدم الكنيسة لعشاء عُرس الخروف، فيعطيهما جسده ودمه فتتحد بعريسها وتثبت فيه.

(١) (القيامة - وحضور الرب)

بعد أن ينتهي الكاهن من صلاة القطعة الثانية من صلاة الصلح وهي (بمسرتك يا الله...) يُتزل اللفافة التي كان يمسكها بيديه أمامه، إلى ناحية اليسار على المذبح، فرفع اللفافة يشير إلى فك الأختام التي كانت على قبر المخلص.

أما رفع الإبروسفارين عند قول الشماس (إبروسفارين إبروسفارين أي تقدموا تقدموا...) يرفع الكاهن الإبروسفارين مع الشماس، الذي يرفعه أمامه ويرفرقه، أي يحدث هزات

وأصوات بالجلال الموضوعة فيه، وهو يرمز للحجر الذي كان موضوعاً على قبر المسيح، ودحرجه الملاك فجر أحد القيامة، أما أصوات الجلال المثبتة فيه، تذكيراً بالزلزلة التي حدثت عند قبر السيد المسيح ومعنى ذلك أن هذه اللحظة تمثل قيامة المسيح... وهكذا فإن ليتورجية المؤمنين، تبدأ بقيامة الرب يسوع من بين الأموات.

بعد رفع الإبروسفارين، يمسك الكاهن اللفافة الموضوعة فوق الصينية على يده اليمنى، ويضع اللفافة التي كانت ختماً على يده اليسرى. وفي هذه اللحظة تنكشف الأسرار، لتعلن حضور الرب لكي يتخذ الكنيسة عروساً له، ويرتفع بها إلى ما وراء الحجاب أي السماء.

بعد ذلك يرشم الكاهن الشعب بمثال الصليب، قائلاً " الرب مع جميعكم " وهو إعلان الكاهن للشعب، عن حضور الرب حضوراً فعلياً، فيجاوبه الشعب من الخارج قائلين " ومع روحك أيضاً " كأنهم أرادوا أن يُخبروه، أنهم عرفوا وعلموا أن الله موجود الآن في وسطهم. فالله الذي كان معنا، واتخذ جسداً عند ميلاده وصار اسمه عمانوئيل الذي تفسيره " الله معنا "، هو هو بعينه معنا بجسده في الإفخارستيا، لأنه قال لتلاميذه قبيل

صعوده " وَهَذَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ " (مت ٢٨ : ٢٠) فهو معنا كل الأيام في سر الإفخارستيا.

(٢) (ارتقاء العروس إلى السماء)

بعد ذلك يرشم الكاهن الخدام عن يمين المذبح، رثماً واحداً بالصليب قائلاً " ارفعوا قلوبكم "، وكأنه ينبه الشعب أي الكنيسة عروس المسيح، أن ترتفع وتصعد مع عريسها، فيجيب الشعب " هي عند الرب "، أي تُطمئن الكاهن أنها ترتفع معه الآن إلى السماء.

ثم يرشم الكاهن ذاته بالصليب، قائلاً " فلنشكر الرب "، لأنه قبل أن يتخذ كنيسته عروساً له، فتجيب عليه قائلة " مستحق وعادل "؛ أي أنه مستحق كل شكر ومستوجب كل إكرام وسجود.

(٢) رؤية مجد العريس

يصلى الكاهن بعد ذلك (مستحق وعادل) ثم قطعة (الذي يقف أمامه) وبعدها قطعة (أنت هو الذي يقف حولك).

حينما يأخذ المسيح عروسه، ويدخل بها إلى السماء، ترى أبحاد عريسها، فتشارك السمايين تسييحهم (رؤ ٤ : ١١ ، ٥ : ٢ ، ٩) فتقول له مستحق وعادل، لأنه حقاً بالحقيقة مستحق

{ ١٢٠ }

وعادل، وعندما تقول الكنيسة " مستحق وعادل " مع السمايين، تصير معهم واحداً في التسييح، أمام المذبح السماي، الذي لا يمكن أن يدركه غير المؤمنين.

وعندما تقول الكنيسة " مستحق "، أي مستحق أن يأخذ الكرامة والمجد، لأنه خلقنا من العدم، ثم عاد وجدد طبيعتنا الساقطة، وعندما تقول " وعادل "، فلأنه أظهر عدله، بدعوتنا نحن الخطاة للتوبة، ومنحنا حياة جديدة، ولم يسمح بهلاكنا.

ثم يكمل الكاهن الصلاة قائلاً " أيها الكائن السيد الرب إله الحق أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. هذا الذي خلقت الكل به ما يرى وما لا يرى. الجالس على عرش مجده، المسجود له من جميع القوات المقدسة ".

حينما ترى العروس مجد عريسها، لا تستطيع أن تصمت. فتمجده معترفةً أنه ابن الله الوحيد، الذي كان منذ الأزل مع أبيه، والساكن في الأعالي، الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. هذا الذي خلق الكل ما يُرى وما لا يُرى الجالس على كرسي مجده، المسجود له من جميع القوات المقدسة. وهنا تعلن العروس خضوعها لعريسها.

في علاقة حب بين المسيح والكنيسة، تعطى العروس المجد ممتدحة عريسها، ومفتخرةً به قائلة " أنت الذي يقف أمامه

{ ١٢١ }

الملائكة ورؤساء الملائكة، والرئاسات والسلطات والكراسي والروبوتات والقوات " وحينما ترى الشاروييم والسارافيم ذوي الستة أجنحة، يسبحون على الدوام بغير سكوت، وحينما تسمع العروس تسبيحهم، تشاركهم في التسبيح، فتقول معهم " قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس " ولذلك يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: " كأن الإنسان قد انتقل إلى السماء نفسها. إنه يقف بجوار عرش المجد، ويطير مع السيرافيم، ويُشد أقدس تسبحة " ويؤكد القديس كيرلس الأورشليمي على نفس الفكرة فيقول " نحن نتكلم عن السيرافيم الذي رآه إشعيا في الروح القدس، محيطين بالله، وهم يقولون قدوس قدوس قدوس الرب إله الجنود. وهذا هو السبب في أننا نهتف بهذه الإلهيات، التي تأتي من السيرافيم، حتى نشترك في التسبيح مع الجنود الملائكية، فيما هو فوق العالم " والتسبيح مع السيرافيم والشاروييم، يعبر عن حقيقة ليتورجية الإفخارستيا، التي هي مشاركة في الليتورجيا السمائية، مع القوات السمائية. وهذا ما يؤكد أننا لم نُعد على الأرض، ولكننا بطريقة ما قد انتقلنا إلى السماء.

{ ١٢٢ }

(٤) (اعتراف الكنيسة بقداسة عريسها ومحبتة لها

يقوم الكاهن بحركة تغيير في اللفائف التي على يديه، حسب الطقس ويمسك الصليب بيده اليمنى، ويعمل الثلاثة رشومات الأولى على ذاته وهو يقول أجيوس (قدوس)، والثاني على الخدام عن يمينه وهو يقول أجيوس (قدوس)، والثالث على الشعب غرباً وهو يقول أجيوس (قدوس). بعد ذلك يصلي الكاهن ذاكراً الخليقة الأولى، والسقوط بغواية إبليس، وكيف أننا نفينا من الفردوس، وأن الله لم يتركنا تماماً، بل تعهدنا بأنبيائه القديسين، وفي آخر الزمان ظهر لنا بابنه الوحيد الجنس، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذي من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم.

والكنيسة هنا تعترف بقداسة عريسها ومحبتة لها، التي جعلته يوجدها من العدم ويخلقها ويضعها في فردوس النعيم. وعندما خالفت الوصية سقطت من الحياة الأبدية، وطُردت من الفردوس. ولكن محبتة لها جعلته لا يتركها إلى الانقضاء، بل أرسل أنبيائه القديسين، وفي آخر الأيام ظهر ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وأخذ جسداً من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم.

{ ١٢٣ }

يضع الكاهن بخوراً في الشورية، وهو يقول " تجسد
وتأنس...." وعندما تفوح رائحة البخور الجميلة، تشير إلى
رائحة المسيح الزكية، التي عبقت العالم كله، وتكمل الكنيسة
مدحها لعريسها لتجسده وتأنسه لأجلها، وتعليمه إياها كيف
تسلك حسب الوصية حتى تخلص. ثم أعطها نعمة الميلاد الثاني
الفوقاني من الماء والروح، وطهرها من نجاستها، وصيرها طاهرة
بروحه القدوس. ولم تقف محبته عند هذا، بل بذل ذاته فداءً
عنها حتى إلى الموت، ونزل إلى الجحيم بالصليب، حتى يحررها
من قبضة إبليس.

يكمل الكاهن الصلاة قائلاً " وقام من الأموات...."
وتستمر العروس في مدح عريسها، الذي بعد ما أتم الفداء
للمراقدين والأحياء، قام من بين الأموات في اليوم الثالث، وبعد
أربعين يوماً من قيامته صعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه،
وسياتي في اليوم الأخير، في مجده وجميع الملائكة القديسين معه،
ليدين المسكونة كلها بالعدل، ويعطى كل واحد وواحد حسب
أعماله.

(٥) (العريس يقرم ذاته لعروسه علامة حبه لها

الجزء الآتي من القداس، حتى بداية الأواشي يُسمّى التقديس،
أو الجزء التأسيسي، وهو يعتبر أهم جزء في القداس، بل جوهره،

لأن فيه يتم تقديس القربان، بنفس الكلمات التي نطق بها السيد
المسيح، يوم تأسيس سر التناول يوم خميس العهد، وفيه يحل
الروح القدس على الأسرار، فتتحول إلى جسد الرب ودمه.

في الجزء السابق الذي يبدأ من الأنافورا، حتى هذا الجزء
الذي نحن بصددده، نرى محبة السيد المسيح لكنيسته. فقد أراها
المسيح محبته لها، من أول الخلقة حتى فدائها على الصليب
وقيامته، وهي بدورها، بادلته بمحبة ماثلة، معترفة له بعمله
العظيم لأجل خلاصها.

أما في هذا الجزء، فنرى السيد المسيح، يُعبّر عن محبته القوية
لكنيسته، بتقديم ذاته لها. فليس حب أعظم من هذا، أن يبذل
أحد نفسه عن أحبائه (يو ١٥ : ١٣). ففي محبته لها يبذل نفسه
كحَمَلٍ من أجل أن يقسم جسده ويعطيها منه، وكذلك دمه
أيضاً، فتثبت فيه وهو فيها، ويصبح واحداً مع عروسه، في رباط
زيجي روحي، لا يستطيع الإنسان أن يُعبّر عنه. وهذا ما يحدث
عند التناول من الجسد والدم في نهاية القداس.

هذا الجزء يقوم بعمله السيد المسيح، في شخص الكاهن
تماماً. كما قام بعمله بذاته يوم خميس العهد.

(أ) ووضع لنا:

يصلى الكاهن " ووضع لنا ... "، وهو يشير بيديه إلى الخبز ثم إلى الكأس، ويترك اللفافتين من يديه على المذبح، ويخر يديه على الجحمة ثلاث مرات ويأخذ في يديه من البخور المتصاعد، ويضع على الخبز والكأس، وهو يكمل الصلاة.

وعندما يصلى هذا الجزء " هذا السر العظيم الذي للتقوى " يعلن ظهور ابن الله بالجسد، من والدة الإله، واصعاده جسده بخبز وخمر، حسب وصيته المقدسة. وهنا يُذكرنا بكلمات بولس الرسول عن سر التجسد " عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ " (١٦: ٣) .

(ب) أخذ خبزاً...

يأخذ الكاهن الحمل ويضعه على يده اليسرى، ويرفع اللفافة من الصينية ويضعها على المذبح وهو يقول " أخذ خبزاً... "

الكاهن يعمل ما عمله السيد المسيح وقت تأسيسه هذا السر، فيحمل الخبز على يديه كما حمّله، وكما كان جسد الرب مرتفعاً على الصليب، مقدماً ذاته ذبيحة للآب، وكانت يدها مبسوطتين كذلك الكاهن يحمل القربان ويرفع يديه، ويقدمه لله

ذبيحة منه وإليه. فالذبيحة التي قُدِّمت على الصليب، هي هي بعينها تُقدَّم الآن على المذبح على أيدي الكهنة.

(ج) ونظر إلى فوق ...

يضع الكاهن يده اليمنى على الحمل الذي على يده اليسرى، ويرفع نظره إلى فوق ويقول " ونظر إلى فوق ... "، وعندما يصل إلى كلمة (وشكر وباركه وقدس) يرشم صليباً على الخبز، مع كل كلمة.

عندما يرفع الكاهن نظره إلى فوق، فهو يصنع كما صنع السيد المسيح، وقت مباركة الخبز وكما بارك وشكر وقدس (مت ٢٦، مر ١٤، لو ٢٢) هكذا يعمل الكاهن.

(د) وقسمه

ثم يقسم الكاهن القربانة، ثلثاً وثلثين من فوق إلى أسفل، دون فصلهما عن بعضهما، بحيث يكون الثلث جهة اليمين جهة الثلاثة ثقوب، ويكون التقسيم بالإبهام وليس بالظفر. كل ذلك وهو يقول " وقسمه " وعندما يصل إلى كلمة { لأن هذا هو جسدي الذي يكسر (أو يقسم) } يبدأ في تقسيم الجزء الأعلى والأسفل دون فصل ثم ينفذ يديه في الصينية لئلا يكون علق بها أي شيء من الجواهر.

(ه) وهكذا الكأس ...

يكشف الكاهن الكأس، ثم يضع يده اليمنى على حافة الكأس، ويقول " وهكذا الكأس ... "، وعندما يصل إلى (وشكر وباركها وقدسها) يرشم الصليب على الكأس، مع كل كلمة منهم، على نحو ما فعل في حالة الخبز.

(و) وذاق وأعطاه

يمسك الكاهن فم الكأس بيده ويقول " وذاق " وعندما يصل إلى " خذوا اشربوا منه كلكم " يحرك الكأس برفق كمثل الصليب، إلى الغرب ثم إلى الشرق فالشمال ثم الجنوب، مُعلنًا أنه بالصليب تم توزيع دم ربنا يسوع المسيح، في كل أنحاء المسكونة الأربعة.

(ز) لأن كل مرة ...

عندما يقول الكاهن " لأن كل مرة ... " يشير بيديه إلى الخبز، عند قوله " هذا الخبز، " ويشير بيده إلى الكأس، عندما يقول " هذه الكأس ".

حينما ترى العروس (الكنيسة) عريستها، حملاً مذبوحةً لأجل خلاصها، ترتل له بهذا النشيد، تذكر فيه موته عنها،

ومعترفة بقيامته ومنتظرة مجيئه الثاني. وهي تقول ذلك، لأن الرب أوصاها بذلك " اصنعوا هذا لذكرى ".

(ح) ففيما نحن أيضاً

يصلى الكاهن بعد ذلك " ففيما نحن أيضاً "، وحينما يصل إلى قوله " نُقرب لك قرابينك على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال " يشير بيديه إلى الخبز والكأس.

حينما يصلى الكاهن هكذا فهو يعنى أن الإفخارستيا، هي عمل خاص بذكرى المسيح المصلوب الفعال في حياتنا ... إن ما نقدمه من قرابين، إنما هي ذبيحة المسيح الحية واهبة الحياة، الخلاقة في حياة الكنيسة. خلالها تقدم الكنيسة ذاتها، بكونها جسد المسيا. تمارس آلامه وصلبه وقيامته وصعوده، كأثما خاصة بها.

(ط) استدعاء الروح القدس

عند نهاية صلاة الكاهن في القطعة السابقة، يصرخ الشماس قائلاً " اسجدوا لله بخوف ورعدة "، فيركع الكاهن أمام المذبح بخشوع، ويصلى " سر حلول الروح القدس "، طالباً من الله أن يرسل روحه القدوس، على هذه القرابين الموضوعه، ليظهرها ويقدها وينقلها إلى جسده المقدس ودمه الكريم.

وتعتقد كنيسة القبطية الأرثوذكسية، أن الخبز والخمر يتحولان حقيقة إلى جسد الرب ودمه الأقدسين، في الوقت الذي يستدعى فيه الكاهن الروح القدس، بقوة الله القادرة على كل شيء، وذلك بطريقة لا تُدرَك ولا تُفحص كما قال القديس أغسطينوس (وعلى ذلك لا يكون في الإفخارستيا صورة جسد الرب ودمه، بل جسد المسيح نفسه، الذي قدمه مرة واحدة على الصليب).

فليس المقصود باستحالة الخبز والخمر، أي تغيير شكلهما ورائحتهما وطعمهما، كلا بل إنهما بعد التقديس يستحيلان جوهرياً استحالة سرية روحية، غير مدركة بالحواس الجسدية، إلى جسد الرب ودمه. فاستحالة الخبز والخمر ليست حسية ملموسة بالحواس الجسدية كما في استحالة الماء إلى دم بواسطة موسى، أو استحالة الماء إلى خمر في عُرس قانا الجليل، إنما هي استحالة جوهريّة في نفس المادة المنظورة، مع بقائها على حالتها المنظورة، بواسطة كلمة الله الحية الفعالة.

عندما يصرخ الشماس " اسجدوا لله بخوف ورعدة "، يسجد الجميع، ويقول الشعب " نسبحك، نباركك، نخدمك، ونسجد لك". ثم ينهض الكاهن ويرشم الخبز بثلاثة رشومات بمثال الصليب، وهو يقول " وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له"،

يسجد الكاهن ثانية ويقول سرّاً " ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، يُعطي لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه " ثم ينهض ويرشم الكأس بثلاثة رشومات بمثال الصليب، وهو يقول " وهذه الكأس أيضاً، دماً كريماً للعهد الجديد الذي له "، يسجد ثانية ويقول سرّاً " ربنا وإلهنا ".

ويلاحظ سجود الكاهن عند استدعاء الروح القدس، لأن الذي دبر هذا السر وأسس العهد، هو السيد المسيح، الذي يرسل روحه القدوس على القرايين. ثم يقف منحنيّاً عند قوله " وهذا الخبز ..."، " وهذه الكأس ..."، لأن الذي يقُدس إنما هو الرب يسوع المسيح وباعتراف الكاهن بلاهوته، يحل الروح القدس، معلناً أن يسوع المسيح هو الرب.

(٦) ذبيحة المسيح (الوحيدة)

بعد تقديس القرايين، لم يعد حاضر على المذبح جسد المسيح ودمه فحسب، بل إنها ذبيحة المسيح نفسها. أي أنها سر آلامه وقيامته وصعوده، والتي تُعتبر الإفخارستيا تذكّاراً فعلياً لها Anamnesis (أنامنيسيس)، فكل مرة تقدم فيها ذبيحة المسيح، ليست هي ذبيحة جديدة، وإنما هي الذبيحة الوحيدة التي للمسيح. حيث تثبت فيها موت الرب وقيامته وصعوده وغفران الخطايا.

ويشرح القديس يوحنا ذهبي الفم ذلك، مبيناً عدم تكرار ذبيحة المسيح في سر الإفخارستيا، مؤكداً فاعليتها وامتدادها وأنها الذبيحة الوحيدة التي للمسيح، فقال (ولكن ألا تقدم الذبيحة يومياً؟! إنما نقدمها، وإنما بصنع تذكارات موته. وهذه واحدة ولا تتكرر. ولقد قُدمت مرةً واحدةً، حيث أنه دخل إلى قدس الأقداس. إن التذكارات هو رمز موته. وهي بنفسها الذبيحة التي نقدمها، وهي ليست واحدة اليوم، وأخرى غداً. فالمسيح واحد في كل مكان. كامل في كل مكان. جسد واحد فقط. وكما أنه جسد واحد في كل مكان، ففي كل مكان هناك ذبيحة واحدة. وهذه هي الذبيحة التي مازلنا نقدمها الآن. وهذا هو معنى كلمة Anamnesis (أنامنيسيس) إنما نصنع تذكارات الذبيحة).

[إن كلمة Anamnesis (أنامنيسيس)، تعني استعادة Recalling، أي إحضار الشيء بحيث يكون موجوداً وله كل آثاره. وهو لفظ يُعبّر عن أن الشيء الذي يوصف به، هو نفس الشيء الذي يشير إليه. فأمر الرب يسوع لم يكن مجرد تذكُّره عقلياً، بل هو Anamnesis (أنامنيسيس)، أي إعادة لعمل الفداء الذي تم سابقاً. وأقرب مثل لذلك هو شريعة الفصح. كان اليهود يعيشون الفصح كل سنة، مع أن الفصح الأول عُمل ليلة خروجهم من مصر، وعملية الخروج لم تتكرر، وإنما حدثت { ١٣٢ }

مرة واحدة " وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمَ تَذْكَارًا (Anamnesis) فَتَعِيدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعِيدُونَهُ " (خر ١٢: ١٤) والمن الذي كان محفوظاً في قسط المن داخل تابوت العهد، كان تذكاراتاً للمن الذي أكلوه في البرية (خر ١٦: ١٣)، رغم انقطاع المن بعد دخولهم أرض الموعد (يش ٥: ١٢، عب ٩: ٤). هكذا في العهد الجديد تم الخلاص بالصليب والقيامة، ولكننا نحيا هذا الخلاص من جديد، ونأخذه بكل نعمة في الإفخارستيا لأن فصحننا المسيح قد ذبح لأجلنا (١ كو ٥: ٧)، نتلاقى معه كلما أكلنا جسده وشربنا دمه ففي كلمة Anamnesis (أنامنيسيس) وفي كل إفخارستيا نحن هناك عند الجلجثة مصلوبون معه، وأمام القبر الفارغ نعيش قيامته. هذه هي الذبيحة التي مازلنا نقدمها إلى اليوم. هذا هو ما نعنيه بذكرى Anamnesis (أنامنيسيس) إنما نصنع أنامنيسيس الذبيحة (القديس يوحنا ذهبي الفم) [(١)].

(٧) طلبات (العروس من الرب قبل التناول وشفاعات القديسين من أجلها)
(أ) بعد انتهاء صلوات التقديس، يأخذ الكاهن اللفافتين على يديه، ويصلي قطعة " اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا، أن

(١) عن كتاب (العبادة في كنيسةنا دلالتها وروحانياتها) ص ١٧٤ للمنتيح نيافة الأنبا يوانس أسقف الغربية.

نتناول من قدساتك، طهارة لأنفسنا أجسادنا وأرواحنا لكي...".

وهنا تطلب الكنيسة من عريسها، أن يمنحها استحقاقاً للتقدم للتناول من الجسد والدم الأقدسين، لكي تكون لها خلاصاً وتقديساً وطهارة لها، ولكي تتحد الأعضاء (المؤمنين) وتثبت معاً، لتكون جسداً واحداً وروحاً واحداً، ويكون لها نصيباً وميراثاً مع كافة القديسين.

ثم يصلى الكاهن، السبع الأواشي الصغار، وهي سلامة الكنيسة، وآباؤها الكبار، والقمامصة والقسوس والشمامسة، وكل الخدام، ثم خلاص الموضع المقدس وكل المواضع وديارات الآباء الأرثوذكسيين، ثم أوشية مياه النهر أو الزروع والعشب ونبات الحقل أو الأهوية، كل بحسب توقيتها، وأخيراً أوشية القرايين.

(ب) بعد الأواشي يصلى الكاهن مجمع القديسين :

والكنيسة المجاهدة تذكر هؤلاء القديسين، مستمدة شفاعتهم في قبول صلواتها التي تقدمت وقت تتيم سر الإفخارستيا. فهم جميعاً (الكنيسة المنظورة وغير المنظورة) أعضاء كنيسة الله الواحدة. ولذلك يقول الكاهن في ختام مجمع القديسين " وكل مصاف قديسيك، هؤلاء الذين

{ ١٣٤ }

بسؤالهم، وطلباتهم، ارحمنا كلنا معاً، وأنقذنا من أجل اسمك القدوس، الذي دُعي علينا ". .

(٨) طلبات وتشكرات

(أ) يصلى الكاهن بعد ذلك قطعة " أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم ... "، والكنيسة المجاهدة التي طلبت شفاعات الكنيسة المنتصرة (الراقدين) في المجمع سابقاً، تشعر بمحبة في قلبها نحو الراقدين من أعضائها، فتطلب من الرب أن يضم الراقدين منها إلى فردوس النعيم إلى الكنيسة المنتصرة.

(ب) يصلى الكاهن قطعة " واهدنا إلى ملكوتك ... "

والكنيسة هنا تطلب من الرب، أن يعينها في جهادها على الأرض، ويقودها إلى ملكوته.

(ج) يصلى الكاهن قطعة " وأيضاً فلنشكر الله الآب ضابط الكل "

والكنيسة عروس المسيح تقدم الشكر له، لأنه جعلها أهلاً أن تقف في هذا الموضع المقدس، وتؤهل للدخول إلى حفل عشاء عرس الخروف.

مرة أخرى تسأل الكنيسة عروس المسيح منه، أن يجعلها مستحقة التناول من جسده المقدس ودمه الكريم.

{ ١٣٥ }

(٩) العريس يُقسّم جسده للكنيسة

يبدأ الكاهن بتقسيم الجسد المقدس، وهو يشير إلى الآلام التي حلت بالسيد المسيح وقت صلبه، والفواصل التي يعملها الكاهن بين الجواهر وبعضها، تسمى الجروح.

نلاحظ أن السيد المسيح، عندما صنع العشاء السري يوم خميس العهد، قام بثلاث خطوات: قدّسه (التقديس)، ثم قسمه (القسمة)، ثم أعطاه لتلاميذه (التناول) (مت ٢٦: ٢٦). وقد اتبع الرسل آثار الرب، إذ كانوا يقدسونه أولاً، ثم يكسرونه، ثم يوزعونه كما تسلّموا من الرب (١ كو ١١: ٢٣، ٢٤).

والسيد المسيح هنا يقسّم جسده الطاهر، ويبدله من أجل عروسه (الكنيسة) المحبوبة.

(١٠) شعور العروس بضعفها أمام قراسة عريسها

بعد أن ينتهي الكاهن من تقسيم الجسد المقدس، يصلى سراً صلوات الخضوع، والتحاليل الثلاثة، وكلها صلوات مملوءة انسحاقاً وتضرعاً إلى الآب السماوي.

والكنيسة عروس المسيح، حينما تجد عريسها يقسم ذاته من أجلها في حب ليس له مثل، تزداد انسحاقاً واتضاعاً أمامه وتشعر بعدم استحقاتها له.

فعندما رأت الكنيسة عريسها، أثناء صلوات التقديس، يبذل ذاته من أجلها قائلاً لها: (خذوا كلوا منه كلكم، لأن هذا هو جسدي، الذي يقسم عنكم وعن كثيرين، يُعطى لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه لذكرى). وبعد ذلك أعطاها أيضاً (دمه الكريم الذي للعهد الجديد الذي يسفك عنكم وعن كثيرين...) شعرت في الحال بضعفها وعدم استحقاتها، فسألته قائلة (اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا، أن نتناول من قدساتك، طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين....). وبينما هي مازالت تفكر في قداسة عريسها، تلتجئ إلى العذراء كأم لعريسها، وكذلك القديسين تطلب منهم أن يتشفعوا من أجلها، فتقول لعريسها (هؤلاء الذين بسؤالهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معاً وأنقذنا من أجل اسمك القدوس الذي دُعي علينا).

وفي النهاية تقدم له الشكر لأنه، جعلها مستحقة أن تقف في هذا الموضع المقدس..، ثم تطلب منه مرة أخرى، أن يجعلها مستحقة للشركة المقدسة من الأسرار الإلهية.

أمام محبة العريس الغير متناهية لعروسه، وبتقسيم جسده المقدس من أجلها، نجد الكنيسة عروسه، تزداد انسحاقاً وشعوراً بعدم الاستحقاق. فنجدها في الصلوات السرية بعد القسمة، تقول " كملت نعم إحسان ابنك الوحيد الجنس، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، اعترفنا بآلامه المخلصة، بشراً بموته، آمنا بقيامته " ثم تقول " لأن رحمتك عظيمة علينا... نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرتنا كلنا، توحدنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية " وتواصل العروس صلواتها لعريسها قائلة له " اللهم يا حامل خطية العالم، اسبق بقبول توبة عبيدك منهم، نوراً للمعرفة وغفراناً للخطايا، لأنك أنت إله رؤوف رحوم. أنت طويل الأناة كثير الرحمة وبار، وإن كنا قد أخطانا إليك، بالقول أو بالفعل، فسامح لنا كصالح ومحب البشر ... " وفي النهاية تقول له " اذكر يارب ضعفي أنا أيضاً واغفر لي خطاياي الكثيرة، وحيث كثر الإثم فلتكثر هناك نعمتك ... " .

يمسك الكاهن الإسباديقون (أي الجزء السيدي، أي الذي يشير إلى السيد المسيح في الجسد)، ويرفعه بيده اليمنى، ويرشم به الكأس بعلامة الصليب، ثم يغمسه في الدم غمساً خفيفاً، ثم يرفعه مغموساً بالدم، ويده اليسرى مبسوطة تحته، حتى يوصله إلى الجسد، ويرشم به الجسد بعلامة الصليب، ثم يصيغ به

{ ١٣٨ }

الجروح التي عملها في الجسد أثناء القسمة. يعمل كل هذا وهو يقول : " القدسات للقدسين، مبارك الرب يسوع المسيح، و قدوس الروح القدس آمين " .

وأمام صوت العريس الذي ينادى قائلاً (القدسات للقدسين...) تصرخ الكنيسة قائلة: حاشا لنا إننا لسنا بقدسين بل خطاة وغير مستحقين، أمام القدوس الوحيد فهو الله المثلث الأقانيم.

ويعلق القديس يوحنا ذهبي الفم، على هذه العبارة بقوله " إن الكاهن يصرخ ويقول (القدسات للقدسين) فيرد الشعب: لسنا قدسين، لكن واحد هو الآب القدوس، واحد هو الابن القدوس، واحد هو الروح القدس " .

و حينما يرى العريس خشوع عروسه، وشعورها بعدم استحقاقها إزاء قداسة الله الفائقة، وأسراره الرهيبة، يعطيها السلام والطمأنينة قائلاً: السلام لجميعكم.

(١١) (العروس تعلن إيمانها أمام العريس)

بعد ذلك يعيد الكاهن رشم الجسد وصيغ الجروح بالإسباديقون مرة ثانية وهو يقول (جسد مقدس ودم كريم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين) .

{ ١٣٩ }

يعيد الكاهن رشم الجسد وصبغ الجروح بالإسبديقون مرة
ثالثة وهو يقول (مقدس وكريم جسد ودم حقيقي ليسوع
المسيح ابن إلهنا آمين).

بعد ذلك يقبل الكاهن الإسبديقون، ويحمله بين أصابعه
مقلوباً، ويرفعه إلى الكأس، ويرشم به الدم، ثم يضعه في الدم
مقلوباً، وهو يقول (جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة
آمين).

هنا العريس يعلن عن الجسد والدم، أنهما حقيقيان ليسوع
المسيح ابن إلهنا. ثم يؤكد لها أنهما لعمانوئيل (الله معنا) إلهنا،
فهو حاضر معنا حضور حقيقي على المذبح. وفي كل مرة
تجاوب العروس آمين أي أو من على ما أعلنته.

يرفع الكاهن الصينية وبها الجسد المقدس ويقول (الاعتراف
الأخير).

وهنا العروس ترفع الجسد المقدس إلى أعلى، وتعترف وتؤمن
أن هذا هو الجسد المحيي، الذي أخذه ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع
المسيح، من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة
مريم، وجعله واحداً مع لاهوته، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا
تغيير، وبذله عنا على خشبة الصليب المقدسة، بإرادته وحده عنا
كلنا، بالحقيقة أو من، أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة

{ ١٤٠ }

ولا طرفة عين، يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية
لمن يتناول منه...".

بعد ذلك تتقدم العروس في انسحاق أمام عريسها، وهي
تقول له (اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا، أن نتناول من
جسدك المقدس ودمك الكريم ... ثم حل واغفر لنا يا الله ...)
ثم بعد ذلك يعطيها العريس جسده المقدس ودمه الكريم، فتتحد
عروسه به، وتكون جسداً واحداً وروحاً واحداً معه إلى
الانقضاء.

أثناء ذلك تتهلل الكنيسة وترتل هلوليا (المزمور ١٥٠)،
مُعبرة عن فرحها بالخلاص، الذي نالته بموت وقيامه المسيح.

إن الارتباط الزيجي الروحي الذي تم بين السيد المسيح
والكنيسة في سر الإفخارستيا، بمثابة عربون للزواج
الإسختولوجي (١) الذي سوف يتحقق في النهاية، حينما يرجع
العريس في نهاية الزمان، فتحف به أرواح الصديقين في تشكيل
الزواج، ليذهبوا للقائه. ووصف هذا المشهد الإسختولوجي لهذا
الزواج، القديس يوحنا الرائي في سفر الرؤيا إذ قال " رأيتُ

(١) أي الأخرى

{ ١٤١ }

{ الفهرس }

صفحة	المحتوى
٩	تقديم لنيافة الأنبا رافائيل
١٠	مقدمة
١٣	مدخل
٢٥	الباب الأول :
٢٦	تسبحة عشية ورفع بخور عشية
٢٦	أولاً: تسبحة عشية
٣٧	ثانياً: رفع بخور عشية
٥٣	الباب الثاني :
٥٥	تسبحة نصف الليل، ورفع بخور باكر
٥٥	أولاً: تسبحة نصف الليل
٨٠	ثانياً: رفع بخور باكر
٨٩	الباب الثالث :
٩٠	تقديم الحمل وقداس الموعوظين
٩٠	أولاً: تقديم الحمل
١٠٤	ثانياً: قداس الموعوظين
١١٧	الباب الرابع :
١١٨	قداس المؤمنين
١٤٣	الفهرس

المَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا " (رؤ ٢١: ٢).

نسأل الله أن يؤهلنا جميعاً للاتحاد به على الدوام دون
افتراق، خلال تناولنا من جسده ودمه الأقدسين، الحاضرين كل
يوم على المذبح.

حتى نتأهل للاتحاد به أبدياً، بعدما نجوز زمان غربتنا على
الأرض، فنكون معه بلا مانع ولا عائق إلى الأبد آمين.

كتب للمؤلف

- ١ - سفر الرؤيا مع مردات أبوغالامسيس
- ٢ - دليل الطقوس الكنسية على مدار السنة التوتية
- ٣ - بستان الفضيلة
- ٤ - زهور وثمار في البراري والقفار
- ٥ - سيرة راهب معاصر (القمص أوغريس السرياني)
- ٦ - راهب ناسك (القمص أرمانوس السرياني)
- ٧ - راهب مثالي (القمص سمعان السرياني)
- ٨ - ملاك من السماء (القمص أنجيلوس السرياني)
- ٩ - المعاني الروحية في طقس القداس الإلهي
- ١٠ - روحانية اللحن القبطي في القداس الباسيلي
- ١١ - آلام أيوب الصديق كرمز لآلام السيد المسيح
- ١٢ - شخصيات كتابية ترمز للسيد المسيح
- ١٣ - العمق الروحي في لحن " بيك إثرونوس "
- ١٤ - سيرة المتنيح الأنبا ثاوفيلس (١٩٠٨م - ١٩٨٩م)
- ١٥ - القداس الإلهي رحلة إلى حفل عشاء عرس الخروف